بْهَاجَافَادْ جِيتَا

أُنْشُودَةُ الرَّبِّ



بْهَاجَافَادْ جِيتَا

أُنْشُودَةُ الرَّبِّ



www.onetradition.org



Founded in Liechtenstein in 1995

www.thesaurus-islamicus.org

ISBN 978-3-908154-72-3



بهاجافاد جيتا

أنشودة الرب



المُحْتَوَيَات

تَنْوِيه ٥
مقدمة الطبعة العربية ٧
أحزان 'آرجونا' ٩
فلسفة التمييز ١٤
طريق العمل 'كارما يوجا' ٢١
طريق الحكمة 'ديانا يوجا' ٢٦
زهد ثمار العمل ٣٠
ضبط النفس ٣٣
الحكمة والتجربة ٣٨
الحياة الأزلية ٤١
علم العلوم وسر الأسرار ٤٤
التجليات الربانية ٤٨
رؤية الكون ٥٣
طريق الحب 'بهاكتي يوجا' ٥٩
الروح والمادة ٦١
الصفات الثلاث ٦٥
الرب الأسمى ٦٨
طريقان ٧١
ثالوث الإيمان ٧٤
روح الزهد ٧٨

تَنْوِيه

تعمل ترجمات 'تراث واحد One Tradition' على نقل آداب الحضارات العريقة فى الشرق والغرب إلى اللسان العربى، للذين تسمح ذائقتهم بالاستمتاع بأعمال الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي وجلال الدين الرومى، وغيرهما من حكماء العالم العربى والإسلامى، ويجدون سعادتهم فى قراءتها، وقد حضّنا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم على طلب العلم والحكمة فقال: «طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ»، وقال أيضًا صلى الله عليه وسلم: «الْكَلِمَةُ الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ، فَحَيْثُ وَجَدَهَا فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا».

وتعتبر هذه الأعمال التى نقدمها مفتاحًا لفهم الحضارات الهندوسية والطاوية والبوذية واليونانية القديمة، من حيث جوهرها الذى تجلى به الله تعالى عليها جميعًا.

ورغم أنه لم يُتَح لنا نقلُ هذه الأسفار عن لغاتها الأصلية التى كُتبت بها، إلا أننا استعضنا عن ذلك بالوقوف على ترجمات إنجليزية عدة، لنتلمّس قدر الإمكان جوهر النص الأصلى الكامن فى هذه الترجمات على اختلافها، وروحَه الساريةَ فيها، آملين أن نكون قد وُفقنا فى تبيان هذا الجوهر، ونقل هذه الروح إلى الترجمة العربية.

التحرير



مقدمة الطبعة العربية

اعتُبرت 'بهاجافاد جيتا' منذ أمد طويل من أعظم المتون الكلاسيكية التعبدية فى العالم لسالكى طريق الحقيقة، وأحيانًا ما يطلق عليها 'أنشودة الرب' أو 'إنجيل شرى كريشنا'. وترى الدراسات الغربية أنها قد وُضعت بين القرنين الخامس والثانى قبل الميلاد بعد الفيدات والأوبانيشادات، وهى جزء من الكتاب السادس فى الملحمة الشعرية الشهيرة 'ماهابهاراتا Mahabharata'.

ويقول 'الباندافيون Pandavas' إن 'ماهابهاراتا' تحكى تاريخ 'الباندافيين'، وهم الأمير 'آرجونا' وإخوته الأربعة الذين نشئوا فى بلاط عمهم الملك الأعمى 'دهريتاراشترا'، بعد وفاة والدهم الملك 'باندو Pandu'، حيث كان هناك دومًا تنافس شديد بين 'الباندافيين'، أى أبناء 'باندو'، وبين 'الكوارافيين Kauravas' أبناء 'دهريتاراشترا' المائة، إلا أن ذروة الصراع بينهما بدأت حين منح الملك العجوز أبناء أخيه إقطاعية، فثار ابنه الأكبر، واحتال على 'يودهيستيرا' أكبر 'الباندافيين' سنًّا وهزمه فى لعبة نرد، وأجبره هو وإخوته على تسليم الأرض، ونفاهم ثلاثة عشر عامًا، وحين عادوا فشل الملك العجوز فى إقناع ابنه بإعادة الميراث إلى أصحابه، ورغم جهود التصالح التى بذلها 'سانجايا' الحكيم قائد عربة الملك، ومستشاره 'بهيشونا' لم يتمكنا من وقف الحرب، فالتقى الجمعان فى سهل 'كوروكشترا' حيث تبدأ 'بهاجافاد جيتا' عند هذه اللحظة.

وحينما نظر 'آرجونا' أمير 'الباندافين' إلى ميدان المعركة أصابه أسى عميق، ورغب عن القتال. وقد جاءت تعاليم 'بهاجافاد جيتا' على لسان الرب 'شرى كريشنا' الذى اتخذ صورة قائد عربة الأمير 'آرجونا'، وقد سمعها 'سانجايا' الحكيم وأبلغ بها الملك 'دهريتاراشترا'، وفور انتهاء خطاب 'شرى كريشنا' إلى 'آرجونا' التحم الجيشان، واستمرت الحرب بينهما ثمانية عشر يومًا، ولم يبق منهم جميعًا على قيد الحياة سوى 'شرى كريشنا' وأبناء 'باندو' الخمسة.

١

أحزان 'آرجونا'

سأل الملك 'دهريتاراشترا'[1] 'سانجايا' الحكيم: «أخبرني عما جرى في معركة سهل 'كوروكشترا' المقدس حين اجتمع قومي على 'الباندافيين'؟»

أجاب 'سانجايا' «حين رأى الأمير 'دوريودانا'[2] جيش 'الباندافيين' قال لمعلمه 'درونا'[3]:

«انظر يا معلمي المبجل إلى جموع 'الباندافيين' الجرارة تلك التي حشدها تلميذك الحكيم ابن الملك 'دروبادا'.

إن من بينهم أبطالًا مغاوير ورماةً عظامًا يضارعون في بسالتهم 'آرجونا'، و'بهيما'[4]، و'يويودهانا'، و'فيراتا'، و'دروبادا'، كذلك من بينهم 'دهيريشتاكيتو' و'شيكيتان' ملك 'بنارس' الشجاع، و'بوروجيت' و'كونتيبهوجا' و'شايبا' الذي حشد خلفه جمعًا غفيرًا، وآخرين أمثال 'يودهامانيو'، و'أوتاموجا'، وأبناء 'سوبهادرا'. ولو نظرت يا مرشدنا الروحي إلى القادة المصطفَيْن المنضوين تحت لوائنا،

١ شقيق الملك 'باندو' ووريثه بعد وفاته، وكان له مائة من الأبناء..
٢ أكبر أبناء 'دهريتاراشترا' وعدو 'الباندافيين' الأول.
٣ أحد الحكماء البراهمة، كان قريبًا من الجبهتين المتصارعتين في بداية الأمر إلى أن انتهى به المطاف قائدًا في جيش 'الكوارافيين'.
٤ أحد أبناء الملك 'باندو' الخمسة.

فسترى من بعدك 'بهيشما'[5]، ثم الجنود العظام 'كارنا' و'كريبا'، و'آشواتَّاما'، و'فيكارنا'، وأبناء 'سوماداتا'، وآخرين كُثُر استعدوا للتضحية بحياتهم لأجلى، وهم مسلحون بأحسن عُدَّة، متمرسون بالحرب. غير أن أمارات الضعف ظاهرة على جيشنا رغم قيادة 'بهيشما' له، وتبدو على جيشهم القوة والبأس رغم أنه بقيادة 'بهيما'. لذا، تعين على قادتنا وجنودنا أن يصمدوا فى مواقعهم كلٌّ حسب كتيبته، وليلتف كل القادة حول 'بهيشما'».

وأمر 'بهيشما' الجد الشجاع بأن تُقرع الطبول وتُطلق الأبواق حتى تكون كزئير الأسود فترفع الهمم، وعندئذ أطلق الرب 'شرى كريشنا' صُورَهُ الحماسىَّ، ونفخ 'آرجونا' فى بوقه الربانى، وهما فى عربتهما الواسعة التى تجرها الخيول البيضاء، وأطلق 'بهيما' المغوار قوقعته المشهورة 'بوندرا'، وأطلق الملك 'دارماراجا' ابن 'كونتى' بوقه 'أنانتافيجايا'، ورددت أصداءه متتالية أبواقُ كل من 'ناكالا'، و'ساهاديو'، و'سوجوش'، و'مانيبوشباكا'، ثم أطلق بوقه كل من مهراجا 'بنارس' سيد الرماة، و'شيكاندى' الجندى الباسل، و'دريشتايوتّا'، و'فيراتا'، و'ساتياكى' الذى لا يقهر، وكذلك يا مولاى فعل كل من أبناء 'دروبادا' و'سوبهادرا' المحارب الفذ[6].

وقد هز ضجيجُ الأبواق قلوب أبناء 'دهريتاراشترا'، وارتجت السماء

٥ أكبر 'الكورافيين' سنًا وأبرزهم مكانة وبراعة فى القتال.

٦ قد يستغرب القارئ من كثرة الشخصيات الواردة فى هذا الجزء من الكتاب، خاصة أنه لن يرد ذكرها مرة أخرى، وهنا علينا التذكير بأن النص هو جزء من ملحمة 'ماهابهاراتا' حيث إن لمعظم هذه الشخصيات المذكورة أدوارًا فى هذه الملحمة.

بأصدائه وزُلزلت الأرض، وحين رأى أبناء 'دهريتاراشترا' قد اندفعوا إلى الميدان طالبين النزال، قال 'آرجونا' رافعًا قوسه:

« سيدي 'شرى كريشنا'، يا رب الأرض الذى لا يُقهر! ضع عربتى بين الجيشين لأرى من يحارب معى ومن يحاربنى، وانظر إلى الجنود من أبناء 'دهريتاراشترا'».

قال 'سانجايا':

«وعندما سمع الرب 'شرى كريشنا' دعاء 'آرجونا'، أوقف عربته المضيئة وسط الجيشين تمامًا، بينما كان 'بهيشما' و'درونا' يقودان زعماء البلاد كافة وقال: «انظر يا 'آرجونا' إلى اجتماع أسرة 'كورو'.»

ورأى 'آرجونا' آباءً وأجدادًا وأحفادًا وأعمامًا وأبناءَ عمومةٍ ومعلمينَ وأصدقاء على كلا الجانبين، وحار بصره بين وجوه أبناء قومه، وذاب قلبه إشفاقًا وقال فى أسى:

«يا مولاى، حين أرى قومى وأهلى متعطشين للقتال تخذلنى مفاصلى ويجف حلقى، وترتعد فرائصى ويقشعر بدنى، ويسقط من يدى قوسى 'جانديفا' ويحترق جلدى، وأعجز عن تمالك نفسى، ويتشتت عقلى وسط جلبة الحرب تلك، والطالع نحس، فما النفع فى مذبحة تحصد أبناء عشيرتى فى ساحة القتال؟

مولاى، إنى لا أريد نصرًا ولا مُلكًا ولا غِبطة، فليس الملك ولا السعادة بشىء عندى حين أرى من أطلبها لهم يضحون هنا بأنفسهم وممتلكاتهم، معلمينَ وآباء وأجدادًا وأبناء وأحفادًا وأعمامًا وأصهارًا، لم أكن لأقتلهم ولو لقاء ثلاثة عوالم، أفأرضى بقتلهم لقاء حكم قطعة

الأرض القاحلة تلك؟ ولا ضير لو قُتلت أنا.

مولاى! أى فرجٍ يتأتى من هلاك أبناء 'دهريتاراشترا'؟ إننا نرتكب خطيئة بقتلنا هؤلاء البائسين، فلنكن أجدر بعمل أكثر نبلًا من ذبح أبناء 'دهريتاراشترا'. ورغم أن هؤلاء القوم يا سيدى يعميهم الطمع، ولا يرون ضيرًا فى إفناء الأقرباء أو قتال الأصدقاء، إلا أننى أعجبُ كيف ننشد الرفعة فى قتل عشيرتنا؟

إن إبادة قومنا يعنى فناء تراثنا التليد ومعه يفنى كل ركن روحى للحياة، ولسوف تجتاح الزندقة بيوتنا وتضل النساء، وبضلال النساء يغرق المجتمع فى الفوضى. هذه الفوضى ستكون جحيمًا يمحق العشيرة ومن دمرها على حد سواء، وتتهافت حينها أرواح أسلافنا دون رحمة ولا قرابين ماء، فتتهاوى سلسلة أجدادنا وتُدنس بالدماء، ويتهدم تراث الطبقات القديم ويذوى نقاء العشيرة.

ويُقال يا مولاى إن من يُضيّع تراثه يهلك ويسقط فى الجحيم، فيا للخسارة! ويا عجبًا أن نحفد إلى قتل بنى جلدتنا ونقترف هذا الإثم العظيم لكى نرفل فى مباهج الملك، فلو أن أبناء 'دهريتاراشترا' جاءوا وضربونى بسيوفهم وأنا أعزل لا أقاوِم، لكان هذا خيرًا عندى من قتلهم وأقْومَ».

قال 'سانجايا': «وبعد أن قال 'آرجونا' كلامه وهو قائم بين الجيشين تهاوى جالسًا على مقعد عربته ملقيًا قوسه وسهامه، وقد انفطر قلبه غمًّا وكمدًا».

٢

فلسفة التمييز

وحكى 'سانجايا' كيف أن الرب 'شرى كريشنا' بعد أن رأى 'آرجونا' قد فاضت عيناه بالدمع حتى غام بصره وتملكه الأسى، قال له معزيًا:
«أى صاحبى، لِمَ التخاذل فى معركة لم تبدأ بعد، ولِمَ الاستسلام لضعف لا يليق بالآريين الشجعان؟ إن ذلك لن يجرَّ عليك سوى الذلة، ويغلق فى وجهك أبواب السماء.
أى 'آرجونا'، لِمَ تفسح للجبن مكانًا فى نفسك وتجانف للخذلان؟ أنت يا من يفزع منك أعداؤك، اخلع عنك خصال النساء المخجلة وتأهب للنزال!»
فقال 'آرجونا':
«وكيف لى بذلك يا مولاى؟ كيف لى إن استعرت الحرب أن أقاتل 'بهيشما' أو 'درونا' اللذين لا يستحقان سوى التبجيل والإكرام! إنه خير لى أن أقضى عمرى شحاذًا أسأل الناس من أن أسفك دم مُعَلِّمَىَّ النبيلين هذين، ولو قتلتها وحملت دمها وهما صاحبا أيادٍ علىَّ، فأنا حينئذ أدنس كل بهجة فى حياتى بدمائها.
ولا أجرؤ على قول أكان خيرًا لى أن أهزمها أم أن يهزمانى، إذ كيف يطيب العيش لو قتلت أبناء 'دهريتاراشترا' المتأهبين للنزال. وبينما تعتصر الشفقة قلبى، يجتاح الاضطراب عقلى، فلا أعلم أيَّان

يكمن واجبي ورشدى؟ ولو أنى تسنمت ملك عالم الظاهر هذا، أو اعتليت سدة عالم الخفاء، فلن يمحو المُلكُ ذلك العذاب الذى يشل حواسى الآن. أخبرنى يا مولاى أى الأعمال أفضل لمصير روحى؟ فأنا تلميذك، أتوسل إليك أن ترشدنى».
قال 'سانجايا': «ثم أخبر 'آرجونا' قاهر الأعداء 'شرى كريشنا' قاهر كل القلوب أنه لن يقاتل، فقال 'شرى كريشنا' مبتسمًا لآرجونا الذى وقف مبتئسًا بين الجيشين:
« لِمَ الحزن دون سبب؟ إن الحكيم لا يحزن على موت ولا حياة، ولم يخل زمان ولن يخلو زمان من مثلى ومثلك وأمثال هؤلاء، والمرء يعيش فى جسد واحد طفولته وشبابه وأرذل عمره، وعند الموت يتحول إلى جسد آخر، غير أن الحكماء لا تخدعهم صروف الدهر وتغيراته، فاتصال أعضاء الحس ببواعث الإحساس هو ما يُولد الشعور بالقر والحر، والألم والسرور، فهى أحوال تروح وتغدو ولا ثبات لها، فاحتملها بجسارة أيها الأمير دون أن تعكر صفوك.
فالبطل لا يهتز لريب الأحوال، ويستوى لديه السرور والألم على حد سواء، هو من يستحق الخلود، فما لم يوجد الآن لن يوجد أبدًا، وما وُجد الآن لن يكفَّ عن الوجود، وهذه بدهيات الحكماء التى تبرهن على ذاتها، والروح الخالدة المعصومة تسرى فى كل ما نرى ولا تموت، وليس هناك ما يمكن أن يمحوها، أما الأجساد التى تسكنها تلك الروح، فكلها محدودة الدوام، لها يوم تفنى فيه، فقاتل أيها الشجاع!
إن من يعتقد أن الروح تَقْتُلُ أو تُقْتَلُ كلاهما جاهل، فالروح لا تَقْتلُ

ولا تُقْتَل، فهى لم تولد ولن تموت، ولا هى كانت ولا ستكف عن أن تكون، خالدة هى معصومة أبدًا، ولكنها أقدم القديم، وهى لا تموت حين يموت الجسد.

فكيف لمن وعى أن الروح خالدة معصومة لم تولد أن يقتل أو يتسبب فى قتل؟ وكما يطَّرح المرء ثيابه البالية ليتخذ ثيابًا جديدة، كذلك تطَّرح الروح الجسد لتتخذ جسدًا جديدًا، لا تَكلُمها أسلحة الحرب ولا تحرقها النار ولا يغرقها الطوفان، ولا سبيل إلى اختراقها ولا إغراقها ولا حرقها ولا تصويحها، سرمدية تسرى فى كل شىء، لا تتغير ولا تتأثر فهى أقدم من القدم.

إنها خفية لا نراها، لا تدرك كنهها الألباب، لا يعتريها التغير، ولو أنك أدركت الروح بما هى لما كان لديك سبب للحزن، بل حتى لو اعتقدت أنها تولد وتموت مرة بعد أخرى، لما حزنت أيضًا، فالموت قدر كل ما يولد، والميلاد قدر كل ما يموت، فإياك أن تبتئس على ما كان محتومًا، إن بداية الكائنات ونهايتها أمر خفى لا يُدرك، فلا نعرف منها إلا تشكُّلاتها المتعاقبة ما بين التجلى واللاتجلى، فما الذى يستدعى الحزن إذًا؟

ثمة من يسمع عن الروح فيُدهش، وثمة من يُدهش وهو يحاول وصفها، وثمة من يسمع عنها فلا يعى ولا يُدهش، ورغم أن عموم الناس قد سمعوا بها، لم يعرفها إلا قلة، فلا تنزعج من هذه المجافل، فروح الإنسان خالدة، وأَدِّ ما هو واجب عليك، فليس هناك ما هو أشرف للجندى من حرب فى الحق، ولذا كان التقاعس عنها صغارًا

أيها الأمير 'آرجونا'!
طوبى للجنود الذين يعرفون ساحات الوغى، فتُفتح لهم أبواب السماء. إنك إن امتنعت عن القتال فى هذه القضية العادلة فستكون آثمًا مُدنس الشرف، ولسوف يلوك الناس سيرتك بألسنتهم إلى الأبد.
وسيقول قادة الحرب الشجعان «إنك قد فررت من الميدان خشية القتال»، فتذوق الضعة بعد الشرف، ويسخر أعداؤك من قوتك، ويُسمعونك ما لا تود سماعه، فهل هناك ما هو أشد وطأة من ذلك؟
انهض يا ابن 'كونتى'، تجهز للقتال وحارب ولا ترتكب إثمًا، واعتبر المسرة والألم والنصر والهزيمة صنوين، فإنك إما أن تكون مقتولًا فتلحق بالسماء، أو منتصرًا فتنعم بالملك.
لقد حدثتك عن فلسفة المعرفة، فاسمع الآن ما سأقوله عن فلسفة العمل، فهو ما ستكسر به أصفاد كل 'كارما' يا 'آرجونا'. فى طريق الفعل ليس هناك جهد يُجحد، ولا عمل يُحبط، فأدنى عمل يأتيه المرء لإدراك الوعى الحق يقيه جسيم الأخطار، فبالفعل تهتدى القريحة التائهة فى تأمل غاية واحدة فحسب وهو الوصول إلىّ، أما المتعنتون فتسلك عقولهم دروبًا ملتوية لا تحصى، والجهلاء لا يتكلمون إلا بألفاظ متكلفة، مفضلين الفهم الحرفى القاصر للمتون المقدسة ويقولون: «ليس هناك ما هو أعمق من ذلك»، وهم بذلك لا يستشيرون إلا أهواءهم، وينشئون سماءهم الخاصة، ويصطنعون شعائر معقدة ليرضوا متعهم الحسية ويثبتوا سلطانهم، فتكون النتيجة المحتومة هى عودتهم فى ميلاد آخر، وحين تنتفخ عقولهم بأفكار

السلطة والمتع الشخصية، يعجزون عن التميز ولو فى أمر واحد.
إن المتون الفيدية تذكر لنا الجونات أو القوى الثلاث، لكن عليك أن تسمو يا 'آرجونا' على كل ذلك، وتعلو على كل ثنائيات المشاعر المتناقضة، وتستقيم على الحق متحررًا من العناء الدنيوى، ومعتصمًا بالحقيقة الخالدة.
ومثلما يستطيع المرء أن يشرب من الصهريج من أى جهة شاء، يستطيع الفقيه المحنك أن يستق من أى متن ما يخدم غاياته، فافعل ما يجب عليك فعله دون انتظار ثمار للعمل، فأنجز عملك بالكامل بعقل منفتح على ما هو ربانى، وازهد فى التعلق، وانظر إلى النجاح والفشل كأمر واحد، فالوعى يرى كل النقائض سواء، وحين يرجع المرء إلى العقل الأسمى فإنه يزهد فى ثمار الخير والشر سواء بسواء، فالوعى الروحى هو فن الحياة الحقيقى.
إن الحكيم الذى يسترشد بالعقل الأسمى يزهد فى ثمار العمل، ويتحرر من سلسال الميلاد الجديد، ويصل إلى الرضوان، وحينما تجاوز معقوليتك اشتباكات الأوهام، فلن تعبأ بالفلسفات التى سمعتها، ولا بتلك التى سوف يتعين عليك سماعها، وحين يحار العقل من تنوع المتون المقدسة يتوقف فى تأملات مباركة للامتناهى، وحينئذ يدرك اليوجا الكاملة».
قال 'آرجونا':
«مولاى! أنى لنا معرفة من أدرك حال الرضوان الأسمى واستقر عقله، كيف يتكلم؟ وكيف يعيش؟ وكيف يفعل؟»

فقال 'شرى كريشنا':

«حين يتخلص المرء من رغبات حواسه ويرضى بالذات العلية فحسب، تأكد أنه حينئذ يدرك الحال الأسمى، والحكيم الذى لم تُضل عقلَه المعاناةُ ومن كانت رغباته لا تنبع من أهواء المتعة، ولا يتعلق بأى شىء أيًّا كان، ولا يعانى من غضب ولا خوف، فهو مثال لمن كان يقف فى مقام عال رحب، والحكيم الذى يذهب أينما شاء دون تعلق بشخص أو مكان، متقبلًا الخير والشر سواء بسواء، دون فرح أو أسى، فهو مثال لمن التحق باللانهائى، والحكيم الذى يستطيع أن يسحب حواسه من مثيراتها كما تسحب السلحفاة أطرافها فى صدفتها، فهو مثال على من بلغ الكمال. وتنكفئ غايات الأشياء عمن استنكف عنها، حتى إن من رأى الحق لا يعرف لهذه الغايات مذاق.

أى 'آرجونا'، إن عقل من يحاول أن ينتصر مشتت باهتياج حواسه رغم مجاهدته فى كبحها، وعندما يكبحها جميعًا فليتأمل أناه الباطنة، فمن يهزم حواسه يبلغ الكمال، وحينما يركن المرء إلى غايات حواسه تجذب نفسه إليها، وينتج عن الانجذاب رغبة، وتلد الرغبة الخطر، والغضب يغذى الوهم ويبعثر الذاكرة، وحين تتبعثر الذاكرة ينشق العقل، وافتقاد العقل يؤدى إلى الدمار، لكن النفس المتمالكة التى تتحرك بين الأشياء المحسوسة متحررة من التعلق والنفور معًا، هى فى طريق السكينة السرمدية، وعندما تحقق السكينة تحرر من البؤس، وحين يعمل العقل فى سكينة يعمل التمييز، والتمييز الحقيقى ليس من نصيب من عجز عن التركيز، فبدون التركيز لا يعمل التأمل، ومن

عجز عن التأمل لن تغشاه السكينة، إذ كيف تتأتى السعادة بغير سكينة؟ فالحواس تعصف بالعقل مثلما تعصف أنواء البحار بالسفن.

وعلى ذلك أيها الشاكى، فمن يحفظ حواسه من الارتباط بمثيراتها فقل عنه إنه ذو عقل طاهر، والمرء الذى استيقظ فى ظلمة كل الموجودات، يدرك السكينة تمامًا كمحيط ممتلئ ينحدر إليه نهر ولكن لا يغيره، إذ لا يدرك السكينة إلا من خلع عنه رغباته، وتحرك فى العالم بلا أمل، متحررًا من أناه، لا يحوز شيئًا ولا يمتلك.

أى 'آرجونا'، إن هذه هى الحال الأسمى، ومن استشعرها مرة لا يمكن أن يفقدها حتى فى لحظة هجرة الروح من الجسد، ويبقى فيها أبدًا ويعرف حينئذ المطلق».

٣

طريق العمل ’كارما يوجا‘

تساءل ’آرجونا‘:

«مولاى! لو أن الحكمة تفوق الفعل، فكيف تنصح لى بخوض هذا النزال المرعب؟ إن كلماتك تحيرنى وتصيب عقلى بالاضطراب، فأخبرنى ما هو الطريق الوحيد الذى يمكن أن أجد به خلاص روحى؟»

فقال ’شرى كريشنا‘:

«قد ذكرت لك يا من خلا من الآثام أن فى هذا العالم طريقين، الأول هو طريق الحكمة ’جنانا يوجا‘ للذين يتأملون، والثانى هو طريق العمل ’كارما يوجا‘ لمن يعملون، وما من امرئ يستطيع التحرر من العمل بالامتناع عن الفعل، ولا يمكن أن يصل إلى الكمال بأن يرفض العمل فحسب، ويعجز أن يعيش لحظة واحدة دون فعل، فصفات الطبيعة تجبره على الفعل جبرًا أو اختيارًا، أما من يتمسك بسكونه ويرفض أن يعمل، ويستغرق فى وهم عالم الحس الذى يضلل الروح فهو منافق. ولكن الشرف كله لمن يحكم عقلُه حواسَّه، فهو حينئذ يسلك طريق العمل الصالح ما لم يتعلق بشىء، فاحرص على أداء واجبك، ذلك أن العمل فى سبيل الواجب أشرف من عدم العمل، حتى إن الحفاظ على الجسد يستحيل على من لا يريد أن يفعل شيئًا، والناس مُصفَّدون

فى هذا العالم بالأعمال ما لم تكن أضحية أوقرابين، فاجعل أعمالك يا 'آرجونا' قرباناً فحسب دون تعلق بشيء.

فحين خلق الرب كل الموجودات فى البداية، فإنما كان ذلك بالتضحية من ذاته العلية، وقال لهم: «يمكنكم أن تضحوا حتى تتناسلوا، وسوف يرضى ذلك كل مطامعكم»، فتعبد لقوى الطبيعة بأن تدعها تغذيك، وحينما يؤازر أحدكما الآخر فسوف تصل إلى النعمة الأسمى، ولو تغذيت على أضحيات الطعام مع العمل سوف تهبك الطبيعة الهناء الذى تنشد، أما من يتمتع بعطاء الطبيعة دون أن يضحى بشيء فهو لص حقًّا.

إن الحكماء الذين يستمتعون ببقايا القربان يتحررون من كل خطاياهم، أما الأنانى الذى يأكل أضحيته وحيدًا فكأنما يتغذى على الآثام فحسب، والموجودات الحية جميعًا قد نتجت عن الطعام، والطعام نتج عن المطر، والمطر يأتى بالتضحية، والتضحية هى أنبل الأعمال، وتتأصل كل الأعمال فى الروح الأسمى التى لا تفنى وتسرى فى كل شيء، والتى تحضر وتعى كل عمل من أعمال التضحية، ومن لا يدفع عجلة التضحية الدوارة ويعيش فى حياة الخطيئة مستمتعًا برضا حواسه، فهو يتنفس بلا جدوى يا 'آرجونا'.

والنفس التى تتأمل فى الذات العلية، فتسعد بخدمتها وترضى بها، لا شيء ينقصها، وليس هناك ما يمكن أن يكتسب من عدم العمل، فإن الرفاهية تعتمد على المساهمة التى يسهم بها المخلوق الأرضى، ولذلك لا بد أن تُحسن ما تعمل دون اعتبار لثمار ذلك، فمن

يقم بعمله بلا تحيز يصل إلى المقام الأسمى.

إن الملك 'جاناكا'[7] وغيره قد حققوا الكمال بالعمل فحسب، فواجبك أن تعمل لاستنارة العالم، فالناس يقلدون ما يفعل كل إنسان عظيم ويتسقون مع المواصفات التى يضعها، وليس فى الدنيا يا 'آرجونا' أمرٌ يضطرنى إلى عمله، وليس فيها شىء يحتم علىَّ أن أنجزه، إلا أننى لا أتوقف عن العمل، فحين لا أتوقف عن العمل أيها الأمير، فإن الناس سوف يسعدون بالشىء نفسه، ولو أننى امتنعت عن العمل فسوف يمنى الجنس البشرى بالخراب، وسوف أحكم عالمًا من الفوضى، وتقع الطامة الكبرى، إن الجهلاء يعملون لغرامهم بالعمل ذاته، أما الحكماء فيعملون دون ارتباط بشىء، ولا تحول أبصارهم إلى الترف، لكن على الحكيم ألا يصيب عقول الجهلاء المرتبطين بالعمل بالاضطراب، بل يقوم بأعماله بروح سمحة وهو يركِّز فكره فى أناه الباطنة، وهكذا يلهم الجميع بأن يفعلوا مثله، فالعمل ضرورة بموجب الصفات والقوى الكامنة فى الطبيعة، وليس إلا الجاهل من يقول «أنا عملت هذا العمل» وهو مغيب فى ضلالات أنانيته الفردية، غير أن من يفهم على الحقيقة صفات الطبيعة وفضائلها يهتم بالعمل، لكن الحكيم الذى يعرف الحقيقة يجب ألا يصيب عقل من لا يعرفها بالاضطراب، لذلك تعين عليك أن تضحى بأعمالك لأناك الباطنة، وتركز أفكارك على المطلق، وتحرر من الأنانية ولا تنتظر الجزاء، وليخل عقلك من الانفعال والإثارة، فابدأ الآن بالقتال.

٧ ملك 'فيديها' وأحد أبطال ملحمة 'رامايانا'.

إن الذين يعملون دومًا بموجب مفهوم فضائل ذواتهم الباطنة أقوياء الإيمان قليلو الانتقاد، وقد تحرروا من روابط العمل، والحكيم يعمل بطبيعته، والحق أن كل المخلوقات تعمل بطبائعها، فما جدوى النكوص عنها؟

إن الحب أو الكراهية التي تثيرها الأشياء في الحواس تنبثق من الطبيعة، فلا تخضع لها، وما هي إلا عوائق على الطريق، وخير لك أن تقوم بواجبك مهما كان مهينًا، من أن تقوم بغيره حتى لو قمت به على وجه حسن، وخير للمرء أن يموت وهو يقوم بواجبه، فالقيام بواجب الغير محفوف بالمخاطر».

سأل 'آرجونا':

«مولاى، ما الذى يدفع الإنسان إلى الخطيئة رغم إرادته وكما لو كان مضطرًّا؟»

أجاب 'شرى كريشنا':

«إنها الشهوة والضلال اللذان يولدان فى الانفعال، والرغبة التى تحرق وتفسد كل شيء، وهى أعتى أعداء الإنسان، وكما تستتر النار فى الدخان وتختفى المرآة خلف التراب ويكمن الجنين فى الرحم، فكذلك يتوشح الوجود بالرغبة، وهى العدو الأبدى للحكيم، فهى تلوث وجه الحكمة، ولا تشبع كما لا تشبع النار، إنها تعمل بالحواس والعقل والمنطق، ومن ثم تدمر بها المعرفة والحكمة، ويقال «إن الحواس حادة»، لكن العقل Mind فيما وراء الحواس، ووراء العقل هناك العقل الملهَمIntellect ، وما فوق العقل الملهَم 'هو' الأعظم المتعالى.

وهكذا كانت معرفته فيما وراء العقل المُلهَم وبعونه هو فحسب، فيا قويًّا يحمل السلاح أطفئ أناتك واقتل أعداءك وامحُ رغباتك مهما كان ذلك عصيًّا».

٤

طريق الحكمة 'ديانا يوجا'

قال 'شرى كريشنا':

«إن هذه الحكمة الخالدة التى لقنتُها 'فيوسواما' مؤسس أسرة 'سون'، ولقنها بدوره إلى 'مانو' مشرِّع القوانين، ولقنها 'مانو' بدوره للملك 'إيكشواكو'. وقد عرفها الملوك الربانيون، فقد كانت هى تراثهم، ولكنها نُسيت بعد أن طال عليها الزمان، ولقد كشفت لك الآن عن طريق الحكمة القديم، فأنت صاحبى المخلص، والطريق هو السر الأعظم.»

سأل 'آرجونا':

«مولاى، لقد وُلد 'فيواسوانا' قبل أن تولد، فكيف تأتى لك أن تلقنه الحكمة»؟

أجاب 'شرى كريشنا':

«لقد وُلدت مرة بعد أخرى فى أحقاب شتى، وكذلك أنت يا 'آرجونا'، غير أنى أعلم كل حياة منها، أما أنت فلا تدرى عن ولادتك السابقة شيئًا. أنا سيد كل موجود، ليس لى بداية ولا أموت، أتجسد بإرادتى وقدرتى حين يتهافت الخير فى العالم ويعيث فيه الشر فسادًا، فأحمى الصالحين وأمحق الأشرار وأقيم مملكة الرب، ثم أتجسد من عصر إلى آخر، ومن يعرف الحقيقة الربانية عن مولدى لن يولد

مرة أخرى، وحين يهجر جسده سوف يتوحد معى، وقد ألحق كثيرون وجودهم فى وجودى بعد أن تحرروا من الرغبة والخوف والغضب، وتشبعوا بى وتطهروا بالشعلة المنيرة لمحو أناتهم، إلا أن هناك من يعبدنى فأرحب به، أيًا كان الطريق الذى سلكه إلىّ، أما من يبحثون عن النجاح فإنهم يعبدون القوى، وأعمالهم فى الدنيا تثمر فى العاجلة، لقد شكلت الطبقات الأربع للمجتمع[8] بنفسى حسب تقسيم الصفات والغرائز، رغم أنى لا أعمل أعمالًا ولا أتغير، وما أعمل ليس قيدًا علىّ، ولا أنا راغب فيما يثمر من نتائج، ومن يعرفنى لن يُستعبَد فى نير العمل.

إن الأقدمين الذين سعوا إلى الخلاص قد قاموا بأعمالهم فى نور الحقيقة، فاسع أنت أيضًا مثلما سعوا، فما هو إذًا العمل وما هو اللاعمل؟ إنه سؤال حار فيه الحكماء، وسوف أبين لك فلسفة العمل، وعندما تعرفها سوف تبرأ من كل شر.

من الضرورى أن نعرف ما هو العمل الصالح وما هو العمل الطالح وما هو اللاعمل. إن قانون العمل عميق غامض، فمن يستطيع أن يرى اللاعمل فى العمل والعمل فى اللاعمل هو أعمق الناس حكمة، وهو قديس حتى لو ظل يعمل فى الحياة، والحكماء يرونه حكيمًا، فلا تشوب دوافع الشهوة أفعاله قط، وقد تطهرت أعماله بنار الحكمة بعد أن زهد فى ثمارها، وعاش راضيًا مستقلًا فى شأنه حتى لو بدا

٨ هم الحكيم، والفارس، والتاجر، والعامل، أى 'براهمان'، و'كشاطريا'، و'فايشا' و'شودرا'.

منشغلًا بالعمل، وهو لا ينتظر شيئًا حيث إنه يُحَكِّم عقله وسلوكه بلا أطماع، فيقوم بعمل البدن فحسب، دون أن تخالطه الرغبة، ويرضى بما يصيبه دون ذنب جناه، فيعلو على ثنائيات التناقض، ويخلو من الحسد، وتتساوى لديه الانتصارات والخيبات، ورغم أنه يعمل فإن ثمار أعماله لا تقيده، والذى تحرر بلا ارتباط وركز عقله فى الحكمة وضحى بأعماله قربانًا، لا يترك وراءه أثرًا، ويرى التضحية من أعمال الروح ذاتها، ويعرف أن الروح والتضحية أمر واحد، وأن الروح ذاتها تقدم أضحية فى نارها، وأن المرء يربطه عمله بالرب، وما دام كان يعمل كان عقله مركزًا على الرب على الدوام، ومن الحكماء من يضحى للقوى، ومنهم من يضحى بذاته على مذبح الخلود، ومنهم من يضحى بحواس بدنه فى لهيب مجاهدة النفس، ومنهم من يضحى بعلائقه بكل ما كان برانيًا فى أتون الحس، ومنهم كذلك من يضحى بجهوده وحيويته فى شعلة محو الذات الروحية التى تنفخ فيه الحكمة، ومنهم من يضحى بثروته ونسكه وتأملاته، والرهبان الذين التزموا بعهدهم يزهدون فى التعلم من المتون وينكرون حتى قواهم الروحية، ومنهم من يتحكم فى طاقاته الحيوية ويسيطر على شهيقه 'برانا' وعلى زفيره 'آبانا'، فيمكنه أن يضحى بأحدهما للآخر، ومنهم من يتحكم فى غذائه ويضحى بحياته الدنيوية فى نار الروح، وجميعهم يفهم مبادئ التضحية التى تغسل آثامه، ويذوقون رحيق الخلود ثوابًا لتضحيتهم، فليست هذه الحياة لمن ينكص عن التضحية، فما بالك بالحياة الأخرى؟ وقل مثل ذلك عن تضحيات شتى يمكن أن تقدم قربانًا للروح،

واعلم أنها جميعًا وليدة الفعل، ولو عرفت ذلك فقد عرفت طريق الخلاص، فتضحية الحكمة أسمى من أى تضحية أخرى، ومقصد كل عمل يا 'آرجونا' هو الوصول لهذه الحكمة.

والحكيم الذى تحقق بالحقيقة وأدرك الغاية من الحياة يعلمك الحكمة، ولو أدركت ذلك فلن يصيبك اضطراب، وبقوة هذه الحكمة يا 'آرجونا' سترى كل هؤلاء الناس كما لو كانوا ذاتك أنت، أى أناك الباطنة.

ولو كنت أعتى الخطاة فسوف تطفو فوق الخطايا فى سفينة الحكمة، ومثلما تلتهم النار الغابة فتحيلها إلى رماد فكذلك يا 'آرجونا' يئول جمر العمل إلى تراب فى أتون الحكمة، وليس فى الدنيا ما يطهر مثلها، ومن كان قديسًا كاملًا فسوف يدرك ذلك فى ذاته فى نهاية المطاف، ومن كان قلبه مطمئنًا بالإيمان فسوف يدرك الحكمة، كما يدركها من استطاع كبح حواسه، وسيصل إلى السكينة الأسمى.

إن الجاهل المنكر الذى لا إيمان له فى الضلال يعمه، ولا يذوق السعادة فى هذه الدنيا ولا فيما بعدها، أما الذى يزهد فى ثمار عمله بالتأمل، ويقطع دابر الشك بسيف حكمة الروح، يظل متوجًا فى ذاته غير أسير لثمار الأعمال، فاقطع هواجس قلبك بسيف الحكمة بعد أن فرضها عليك جهلك، وانهض واسلك طريق الحكمة.»

٥

زهد ثمار العمل

قال 'آرجونا':

«مولاى! إنك تمتدح الزهد فى ثمار العمل حينًا وتمتدح العمل الصالح حينًا آخر، أتوسل إليك أن تخبرنى أيهما يؤدى إلى خلاص نفسى؟»

أجاب 'شرى كريشنا':

«إن طريق زهد ثمار العمل والعمل الصالح كلاهما يقود إلى الغاية الأسمى، لكن طريق العمل الصالح أفضل. إن الناسك الحق هو من لا يحب ولا يكره، ولا يتأثر بتناقض المتقابلات، ويسهل تحرره من العلائق ولا إرادة شخصية لديه. ولا يتحدث عن الحكمة والعمل الصالح كأمرين منفصلين إلا جاهل، ولو عرف المرء أحدهما فسوف يستمتع بثمارهما معًا، وقد يبلغ المرء المقام الذى تأخذه إليه الحكمة بالعمل الصالح أيضًا، ومن أدرك أنهما صنوان فقد عرف الحق. والزهد الحق عَصِيُّ المنال دون عمل أيها الشجاع، لكن الحكيم الذى يتأمل دومًا فى الربانىِّ يتحقق بالمطلق. ومن كان روحيًا طاهرًا وتغلب على حواسه وعلى شخصه وأدرك أن الذات الأسمى هى ذات الجميع، سوف يتحرر من أعماله حتى لو كان يعمل. ورغم أن الناسك يرى ويسمع ويلمس ويشم ويأكل وينام ويتنفس إلا أنه يعرف الحقيقة، ويعرف أنه ليس هو من يعمل، ورغم أنه يتكلم ويأخذ ويعطى، ورغم أنه يفتح عينيه

ويغمضهما فإنه يعرف أن حواسه تتريض بين الأشياء التى تدركها. ومن يضحِّ بأعماله للروح طارحًا علائق النفس لا تمسّه الآثام إلا كما يمسُّ ماء بحيرة زهرات اللوتس الطافية فوقها. فالحكيم يأتى كل عمل بلا انفعال، ويستخدم بدنه وعقله وحواسه وسائلَ للتطهر، وعندما يهجر ثمار عمل يُدرك السكينة السرمدية. أما الذين لا يعرفون الروحانية تقودهم أهواؤهم وتعلقاتهم بالثمار التى يظنون أنها ستتبع أعمالهم، فيشتبكون بها. بينما تستمتع النفس التى زهدت بالعقل فى ثمار كل الأعمال بنعمة الجسد، تلك المدينة ذات الأبواب التسعة، فلا هم يفعلون شيئًا ولا يتسببون فى فعل شىء.

إن خالق هذا الكون لم يأمر بالعمل، ولا باتباع دوافع أيًّا كانت، ولا بتوخى أية علاقات بين العمل وثماره، فكل ذلك من أعمال الطبيعة، ولا يقبل الرب تحمل المسئولية عن خطايا المرء أو أعماله. لكن الجهال قد ضلوا حين أغرقوا الحكمة بداخل ذواتهم، فالحكمة مثل الشمس التى تُظهرُ الحق الأسمى. فالمتأملون الرب، والمؤمنون بالرب، والذين اتخذوا الرب غاية وملاذًا لا يُولَدُون كموجودات منفصلة مرة أخرى.

إن هؤلاء الحكماء ينظرون إلى كل شىء كشىء واحد، فيرون الروح فى العارفين والمنبوذين والأبقار والأفيال والكلاب، فهم يهزمون حياتهم الأرضية فى هذا العالم، وتستقر عقولهم فى الواحد الأسمى، فيظلون دومًا فى توازن، فالواحد الأسمى لا يشوبه شوب ولا يضله تحيز، ومن يعرف المطلق ويعش فيه يبقَ ثابتًا لا يتحرك ولا يضطرب،

لا يفرح بمسرة ولا يأسى بألم، ويجد السعادة فى ذاته وينعم بالرضوان السرمدى، ولا يهفو قلبه إلى علائق الدنيا، وتتوحد نفسه مع الدائم أبدًا.

إن المسرات التى تتأتى من الارتباط بعالم الحس تثمر الآلام، ولها بداية ونهاية، ولن يفرح بها الحكيم، أما من كان سعيدًا فى الذات العلية فقد وجد سلامه، وينبثق منه نور الباطن حتى يصير إلى الرضوان الخالد ويصبح الروح ذاتها، ويصل إلى الروح الخالدة بعد أن امَّحت آثامه واختفت حاسة التمايز فى عقله، وقد روض نفسه على أن يسعى إلى خير الجميع فحسب، والحكماء الذين عرفوا أنفسهم وضبطوا عقولهم ولم يشعروا برغبة ولا غضب، يجدون الرضوان الخالد فى كل أين، حين يستبعدون الأشياء، ويركزون أبصارهم على مركز وعيهم الروحى، وتتساوى أنفاسهم فى التردد بين الشهيق والزفير، ويتحرر الحكيم إلى الأبد حين يضبط حواسه وعقله، وينكب على التخلص من الرغبة والخوف والغضب.

فيعرفنى كرب لكل قرابين التنسك والأضحيات وكصاحب لكل الكائنات، ويصل إلى السلام السرمدى».

٦

ضبط النفس

قال 'شرى كريشنا':

«إن من يعمل لأن العمل واجب عليه، ولا يفكر فى نتائج عمله، هو الروحانى الناسك حقًّا، وليس مجرد من يقيم الشعائر ولا من ينبذ كل عمل، يا 'آرجونا'، إن الزهد هو العمل الصالح حقًّا، ولا يكون المرء روحانيًّا ما لم يزهد فى رغباته كافة، وسَعْىُ الحكيم إلى التأمل الروحى هو الطريق الأوحد، وحين يصل إليه يتعين عليه أن يتمسك به بمجاهدة النفس وترويضها، وحين يلفظ المرء حتى التفكير فى بداية عمل، ويفقد كل اهتمام بالأشياء والثمار التى قد تنتج عنه، فهو يفهم الروحانية على الحقيقة، فليسع إلى التحرر بمعونة الذات العلية فى باطنه، وليحفظ نفسه من كل شين، فهذه الذات هى صديقه الأوحد، إلا أنها قد تكون عدوه الأوحد كذلك، فمن هزم طبيعته الدنيا بمعونتها كانت له صديقًا، ومن لم يفعل كانت له عدوًّا، إن من مَلَكَ نفسه ووصل إلى السكينة، لن يحركه حرٌّ ولا قرٌّ، ولن ينفعل بمسرة ولا ألم، ولن يأبه لشرف أو عار.

إن من زهد فى كل شىء سوى الحكمة والبصيرة الروحية، وتغلب على حواسه، ونظر إلى الطين والحجر والذهب فرآهم سواء لهو الناسك حقًّا، فهو ينظر بلا تحيز إلى الجميع سواء أكانوا أحباء أم أصدقاء أم

أعداء، وسواء أكانوا عدوانيين أم غير مكترثين، أو كانوا أقارب أم غرباء، أم كانوا فضلاء أم خطّائين.

إن على مريد الحكمة أن يثابر فى التركيز على عقله متوحدًا تمامًا فى عزلة، متحكمًا فى ذهنه وجسده، ومتحررًا من الرغبة والممتلكات الدنيوية، وحين يختار موقعًا مقدسًا فليجلس فى وضع ثابت على مقعد لا هو عالٍ ولا منخفض، مغطى بحصير من قش أو جلد غزال أو نسيج، وليركز عقله الذى انضبطت وظائفه فى جلسته تلك، وفى حواسه التى خضعت، وليتأمل فى طهارة طبيعة الدنيا، وليجلس بقامة معتدلة ورأس منتصب ورقبة لا تميل، وليثبِّت بصره على أرنبة أنفه لا ينظر يمينًا ولا يسارًا، وليرع عهد القنوت بقلب فى سلام لا فى خوف، وبعقل منضبط ثابت على أناه الباطنة، وليفقد ذاته فى تأمل أناه، وهكذا يظل قلبه أبدًا فى اتحاد مع أناه الباطنة، وتخفت أفكاره ويصل إلى السكينة التى تنبع منه، والتى تقوده إلى التحرر فى نهاية المطاف.

وليس التأمل لمن كان أكولًا نهمًا، ولا من صام الدهر، ولا من كان نئومًا مدمنًا، ولا من كان مستيقظًا على الدوام، ولكن لمن اعتدل فى طعامه وراحته، ومن توسط فى عمله ونومه ويقظته، وسوف يصرف التأمل كل تعاسة، وحين يتحكم تمامًا فى عقله ويركز على الذات العلية ويتحرر من شهوات الأرض فإنه يصير روحانيًّا حقًّا.

والحكيم الذى هزم شطحات عقله وذاب فى الذات العلية يصير كمنارٍ لا يخفت نوره، فهو فى حمى من رياح الأهواء، حيث يرى الطبيعة

كلها فى نور الذات العلية، ويسكن فيه راضيًا، وقد كبح توحده مع الربانى وظائف نفسه، ويقر العقل فى سلام، وحين يتنعم فى الرضوان الذى يعلو على الحواس ولا يدركه سوى العقل الخالص، ويركن إلى الراحة فى علياء ذاته، فلن يضل عن الحقيقة أبدًا، وعندما يجدها سيعلم أنه ليس هناك ما يضاهيها، وعندما يستقر فى مقامه هذا فلن يكدر صفو سلامه نوائب الدهر، إن الشفاء الباطن من الشقاء هو الروحانية، ولا بد أن تُمارس بحميَّة وبقلب يرفض أن يكتئب، فيزهد فى كل الرغبات التى يُصورها الخيال، ويضبط الحواس فى كل لحظة بقوة العقل، وشيئًا فشيئًا يصل إلى السلام بعون من عقله الذى تقوده المثابرة، وليثبِّت عقله فى الذات العلية ولا شىء غيرها، وحين يتوه العقل المتطاير المتهافت فليكبحه وليُعِدْ إليه الولاء للذات العلية. إن نصيب الحكيم هو الرضوان الأسمى، فقد حقق عقله السكينة، واندحرت شهواته، وهو بلا خطيئة، وهو الذى يتوحد بالمطلق.

وهكذا حال الناسك الذى تحرر من الخطيئة، ملتزمًا باب الباقى على الدوام يستمتع دون جهد بالرضوان الذى ينبع من إدراك اللامتناهى، ومن يجرب توحد الحياة ير الذات فى كل مخلوق، وير كل المخلوقات فى ذاته، وينظر إلى كل شىء بلا تحيز، وير الذات العلية فى كل شىء وير كل شىء فيها، ولا أهجره مطلقا أيًا كان طالعه.

أىْ 'آرجونا'، إن الحكيم الكامل يدرك وحدة الروح حقًّا حين يستوى لديه السرور والألم.»

قال آرجونا:

«لا أرى كيف يتأتى لى أن أبلغ هذه المرتبة من السكينة التى كشفت لى عنها وأنا فى حالٍ عقليٍّ مضطرب، مولاى، حقًّا إن العقل خطَّاء وأهوج، وعنيد وقوى وعصى كالريح.»

قال 'شرى كريشنا':

«لا شك فى ذلك يا أقوى الأقوياء، فالعقل خطَّاء وعصى على الكبح، ولكن كبحه يا ابن 'كونتى' ممكن بالمجاهدة والزهد، ومن غير الممكن أن ينال المرء الغاية الأسمى ما لم يستطع ترويض نفسه، ولكن متى حاول كبحها بالوسائل المتوافقة، كان أمرًا ممكنًا.

سأل 'آرجونا':

«فماذا عمن فشل فى كبح نفسه، وشرد عقله عن التأمل الروحى ولم يبلغ الكمال، ولكنه حافظ على الإيمان يا مولاى؟ وهل من فشل فى الأمرين يصير كحطام سحابة لا سند له؟ وهل يفقد طريق الروح؟ سيدى ومولاى! إنك جدير بدحض هذا الشك نهائيًا، فمن لها غيرك»؟

أجاب 'شرى كريشنا':

«أىِ ابنى الحبيب، ليس له انحطام فى هذا العالم ولا فى العالم الآخر، فمن سار على الدرب المستقيم لا ينتظره شر، وعندما يصل إلى العالم الذى يعيش فيه الصالحون، ويقيم هناك سنين عددًا، فسوف يولد من التزم طريق الروحانية المستقيم لأسرة طاهرة سمحة ذات جاه، أو قد يولد فى أسرة من الحكماء ولو أن ذلك أمر صعب المنال، وسوف تحيا الخبرات التى اكتسبها فى حياته السابقة، وسوف يستعين بها على

تحقيق الكمال بحمية أكثر مما مضى، وسوف يعود بلا وعى منه إلى أعمال حياته السابقة، ويدرك أن من يحاول التحقق بالوعى الروحى أفضل ممن يتحدث عنه، وبعد عدة حيوات يصل المرء إلى الكمال ويبلغ المقام الأسمى.

إن الحكيم يفوق المتنسك والدارس والفارس، فاهرع إلى الحكمة يا 'آرجونا' وكن حكيمًا! إنى أنظر إليه كما أنظر إلى أفضل النساك الممتلئين إيمانًا، والذين يعبدوننى ويحتمون بى.»

٧

الحكمة والتجربة

قال 'شرى كريشنا':

«أنصت يا 'آرجونا'! وسوف أقول لك كيف تعرفنى فى كمالى، فتأمل بعقلك المؤمن فى أناى، واحتمِ فى حماى، وسوف أكشف لك المعرفة وكيف تحقق، والتى إن تحققت مرة واحدة، فلن يبقى هناك ما لم يتم، وليس سواها فى هذه الحياة ما يستحق كدًّا.

بالكاد يكدح إلى الكمال واحد من عدة آلاف، وحتى من بين كل الذين يحتكمون على قوى سحرية، يعرفنى حقًّا منهم واحد بالكاد، إن الأرض والماء والنار والهواء والأثير والعقل والعقل الملهَم والشخصية هى الأقسام الثمانية لوجودى الظاهر، وهذه هى الصفات الدنيا، ولكن أيها الشجاع، اعلم أن الصفات الأسمى هى الحياة ذاتها التى تقيم الكون، إنها رحم الوجود كله، فأنا من خلق الوجود، وأنا من سيفنيه.

أىْ 'آرجونا'! ليس هناك ما يسمو علىّ، وكل شىء فى الكون يقوم علىّ كما تجتمع اللآلئ على خيط.

أىْ 'آرجونا'، إننى مذاق الماء العذب، وضياء الشمس ونور القمر، إننى الكلمة المقدسة 'آوم' فى متون 'الفيدا'، وأنا الصوت فى الأثير، وأنا الحيوية المفعمة فى الإنسان، إننى عبق الأرض ووهج النار، وقوة

الحياة فى كل الموجودات، إننى تنسك الزاهدين، اعلم يا 'آرجونا' أننى بذرة الوجود الأزلى، إننى ذكاء الألمعى وبهاء كل مزدان، إننى قوة القوى التى تحرر من العلائق وتخلص من الرغبات، يا 'آرجونا'! إننى رجاء من أراد الاستقامة، وأيًا كانت طبيعة حياتهم سواء أكانت حياة تقية أم حياة جهل وانفعال، فكلهم منى وكلهم فىّ، ولكنى لست فيهم. ضل العالمون بالطبائع التى احتوت عليها الصفات، ولا يعلمون أننى أعلى منهم جميعًا، وأننى لا أتغير، والحق أن ذلك الوهم الربانى للظواهر التى يتجلى بها من الصفات يستعصى على التجاوز، ولن يقدر عليه إلا من أخلصوا لى فحسب، أما الخطّاء والجاهل والشرير فمحرومون من الفهم الروحى بتوهج أوهامهم، وكل من يعيش حياة لا رب لها لن يجدنى.

أىْ 'آرجونا'، إن من يعبدنى من الصالحين ينقسمون إلى مراحل، فأولهم من عانى، وثانيهم من سعى إلى المعرفة، والثالث من تعطش إلى الحقيقة، وأخيرًا من وصل إلى الحكمة، وهو يفوقهم جميعًا، ويتأمل فىّ بلا انقطاع، ويكرس نفسه لى فحسب، فالحكيم يحبنى حقًّا، وأنا كذلك أحب الحكيم، إنهم جميعًا ذوو عقل نبيل، لكنى أعتبر الحكيم ذاتى نفسها، فهو دائمًا فى سلام معى، ويجعل منى غايته النهائية، ويدركنى كما أنا بعد حيوات عدة، فالمستنير الذى يرى الرب فى كل أين يندر وجوده.

أما من عَتَمت حكمتهم بشهوة أو بأخرى، فإنهم يعبدون القوى الصغرى، ويقومون بشعائر شتى تختلف باختلاف أمزجتهم، ولكن

أيًا ما كانت صورة العبادة، فمن كان منهم مخلصًا فإنى أمهر عبادته بخاتمى، ولو أنه عبد صورة واحدة بإيمان حق، فسوف يتحقق رجاؤه بها، فهذا هو ما قدَّرت.

قليلة هى الثمار التى يُحصِّلها ذوو البصيرة المحدودة، فمن يعبد القوى الأدنى يهاجر إليها، ومن يعبدنى فسوف يأتى إلىَّ، إن الجهلاء يعتقدون أنى على شكل إنسان، ولا يعلمون أننى الروح التى لا تُشهد، ولا يفهمون طبيعتى العلية التى لا تحول، إن الجميع لا يبصروننى، فأنا مستتر بوهم الظواهر، والدنيا الضالة لا تعرف أنى من لم يولد ولن يموت، إنى أعلم يا 'آرجونا' كل المخلوقات ما درس منها وما وُجد وما سيكون، ولكنها لا تعرفنى.

أىْ 'آرجونا' الشجاع! إن الناس يعيشون فى عالم من الوهم، يخدعهم بريق تناقضات الحواس، وتبهرهم الشهوات والميول، لكن من كان صالحًا وامَّحت خطاياه وتحرر من افتتان المشاعر المتناقضة، فإنه يعبدنى بإيمان لا يتزعزع، ومن يحتمِ بى ويسعَ إلى التحرر من الفساد والموت فسوف يعرف الروح الأسمى، والتى هى ذاته الحقة التى يكتمل فيها كل عمل، ومن رآنى فى الحياة الدنيا فى التضحية الكلية كربٍّ له، سيظل عقله مستقيمًا، وسوف يعيش فىَّ حتى فى ساعة الموت الحاسمة».

٨

الحياة الأزلية

سأل 'آرجونا':

«يا سيد السادة، ما ذلك الذى يسميه الناس الروح الأسمى؟ وما طبيعة الإنسان الروحية، وما الناموس؟ وما المادة وما الربوبية؟ ومن ذا الذى يحكم على أضحية الروح فى هذه الكثرة؟ وكيف يتأتى لمن وصل إلى ضبط النفس أن يصل إلى معرفتك»؟

أجاب 'شرى كريشنا':

«إن الروح الأسمى هى الذات الأعلى الأزلية التى لا تفنى، والوعى الروحى هو صفتها، وقد خُلقت العوالم وقامت على فيض الروح الذى يسمى الناموس.

والمادة أشكال فانية، والربوبية هى الذات العلية التى تلهم الإنسان روح التضحية، أى إنها يا أنبل قومك أنا ذاتى الذى يقف أمامك فى صورة إنسان، ومن يتفكر فىَّ ساعة الموت فحسب، فسوف يهجر الجسد وينطلق لكى يعرفنى، وسوف يكون عقل الإنسان يقظًا ساعة الموت على أى مستوى من الوجود، فتأمل فىَّ على الدوام وحارب، ولو كان عقلك وذهنك ثابتين علىَّ فسوف تأتى إلىَّ يقينًا، فمن لا يشرد عقله عن التأمل سوف يصل إلى الروح الأسمى، ومن تأمل فى القديم كلىِّ العلم الذى يدُّق عن الذرة إلا أنه حاكم الكل ومُقيتُ الجميع،

ولا تصور له رغم أنه يسطع كالشمس حيث لا تطاله الظلال، ومن ترك البدن وثبت عقله فى الإيمان بقوة تأمله، وجمع كل طاقته الحيوية نصب عينيه، فسوف يصل إلى المقام الأسمى.

وسوف أحدثك الآن عن الغاية الخالدة التى تغياها من درس المتون المقدسة، والتى يبلغها الناسك حين يتحرر من الانفعال، والتى يرضى من أجلها باحتمال التعفف، ويغلق أبواب جسده، ويشحذ قوى عقله فى قلبه بقوة التأمل والتركيز على طاقته الحيوية فى المخ، إن تكرار مقطع 'آوم' رمز الأبدية يستحضرنى دومًا فى الذكر، ومن هجر جسده وانطلق فسوف يصل إلى الروح الأسمى، وأنا حاضر لكل من ذكرنى دومًا وليس غيرى، وعندما تعود إلىَّ هذه النفوس العظيمة لا ترجع إلى الشقاء والموت فى الحياة الدنيا، فقد وصلت إلى الكمال.

إن العوالم والخليقة كلها تأتى وتروح، ولكن أى 'آرجونا'! كل من يأتى إلىَّ لا عودة له إلى ميلاد أرضى، ومن يفهم نهار الكون وليل الكون يعلم أن يوم الخليقة ألف دورة، وكذلك ليلها، وينبع فى فجر ذلك اليوم من الخفاء كل ما تجلى، وحين يحل مساؤه تذوب مرة أخرى، ويحل رهط الكائنات التى عاشت على الأرض عندما يحل ليل الكون، كى تنبع مرة أخرى حينما يأتى الصباح، وهذا ما قدرت. والحق أن الغيب الأزلى هو فوق روح الخلق اللامتجلية، ولا يفنى عندما يفنى كل شىء، ويقول الحكماء «إن الغيب الصمد هو أعلى غاية يصل إليها الإنسان»، وحينما يصل إليها فلا عودة له، فهو فى

موئلى المبارك.

'أى 'آرجونا'! لا يمكن للإنسان أن يصل إلى الرب الأسمى الذى تضرع إليه كل الخلائق، والذى يسرى فى الكون بأجمعه، إلا بالإخلاص وبجُمَّاع القلب.

أىْ 'آرجونا'! إن الناسك الذى يعرف تلك الدروب لن يضطرب، فلا تتوقف عن التأمل على الدوام، والحكيم الذى يعرف ذلك يذهب إلى أبعد مما تصل إليه دراسة المتون والتضحية والنسك والإحسان، ويصل إلى الموئل الأولانى.»

٩

علم العلوم وسر الأسرار

قال ’شرى كريشنا‘:

«حيث إنك قوى الإيمان، فسوف أكشف لك الآن عن الأسرارية العميقة التى سوف تحررك من الخطايا لو أتبعتها بالتجربة، فهذا هو العلم الأولانى والسر الأعظم الأطهر، وهو الصلاح الذى يشرح قلب من يمارسه بما يفوق الوصف.

إن من لا إيمان له بهذه التعاليم لن يجدنى لأرشده، ولكنه سيظل ضالًّا فى أصقاع الدنيا الفانية، إنى أسرى فى الكون كله، لكن صورتى لا تبين للبصر، وتستمد كل الأحياء وجودها منى، لكنى لست مقصورًا عليهم، إلا أنهم لا يطيعوننى، وهذه هى عظمتى الربانية، فرغم أنى واجد كل شىء وحافظ كل شىء، إلا أننى أظل خارج كل شىء، ومثل الريح العاتية التى تهب فى كل أين ولا سكينة لها إلا فى الفضاء، كذلك المخلوقات لا سكينة لها إلا فىَّ أنا.

أىْ ’أرجونا‘! إن كل المخلوقات تعود فى نهاية كل دورة كونية إلى عالم الطبيعة، وهو جزء منى، وأطلقها مرة أخرى عند بداية دورة جديدة، وأصب المخلوقات كافة بالطبيعة فى الحياة رضيت أم أبت، فكلها محكومة بمشيئتى، إلا أن هذه الأعمال لا تقيدنى، فأنا أظل خارجها بلا ارتباط، وتنتج الطبيعة بإرشادى كل ما كان ساكنًا

وكل ما يتحرك، وهكذا يا 'آرجونا' يدور الكون، يتجاهلنى المغفلون، ويتصورون أننى فى صورة إنسان، ولا يعلمون أن طبيعتى العلوية هى الرب سيد المخلوقات جميعًا، إن رجاءهم ضلال وأعمالهم أضل، ومعرفتهم غثاء ولا معنى لهم، فهم غوغاء مخادعون بلا رب.

لكن الأرواح العظيمة يا 'آرجونا' تمتلئ بروحى الربانية، ويعبدوننى وترتكز عقولهم فىَّ وحدى، ويعلمون أننى المنبع الخالد للوجود، ويعلون من شأنى بحمية، ويسجدون لى ويتعبدون دومًا بإخلاص، وهناك من يعبدنى بوعى كامل بأنى الواحد والكثرة والحضور والكلية.

إننى القربان والضحية والنُسُك، إننى الوقود والترنيمة، إننى دهن القربان، إننى النار ذاتها، إننى فعل التضحية.

إننى أبو الكون وأمه وجده، إننى الطاهر الذى يُعرف، إننى 'آوم' والمتون المقدسة، إننى الغاية والحافظ والشاهد والوطن والملاذ والحبيب والأصل، إننى الموت والحياة والنبع والبذرة الخالدة، إننى دفء الشمس ومطلق المطر وممسكه، إننى الموت والخلود والوجود واللاوجود.

إن من تمكن من المتون المقدسة وشرب رحيق 'السوما' وتطهر من الخطايا، يتعبد لى ويقدم الأضاحى، ويدعو لكى أقوده فى طريق السماء، ويصل إلى العالم المبارك حيث موئل حكم قوى الصفات الربانية، وينعم بولائم الفردوس، ورغم أنه يمرح فى أمجاد الجنان، يعود بعد أن يستنفد ثوابه كى يولد مرة أخرى فى عالم الفانين، لقد اتبع حروف المتون لكى يحقق رغبته، ولا مناص من عودته إلى الدنيا

مرة بعد أخرى.

ولو أنه تأمل فىّ وحدى وعبدنى وحدى دائمًا وفى كل أين، فسوف أتعهد به وأحمى ما وصل إليه. ولو أن الذين يعبدون القوى الدنيا تعبدوا بإخلاص فإنهم يعبدونى كذلك حتى ولو لم يعبدونى بالطريق السوى.

إننى أقبل الأضاحى، فأنا سيدها الحق، ولكن مقدمها الذى لا يعرفنى على الحقيقة لا بد أن يسقط.

يذهب من يعبد القوى الأدنى إليها، ويذهب من يعبد الأشباح إليها، ويروح من يعبد قوى الظلام إليها، كما أن من يعبدوننى سوف يأتون إلىّ.

وأيًا كان ما يقدمه المؤمن قربانًا سواء أكان ورقة شجر أم زهرة أم ثمرة أم مياهًا فإنى أقبلها، ذلك أنها مقدمة بإيمان وطهارة عقل، وأيًّا كان ما تفعله وما تأكله وما تضحى به وما تتصدق، وأيًّا كانت المناسك التى تقوم بها، فافعل ذلك كله كقربان لى، وسوف تكون أعمالك بلا ثمار طيبة ولا خبيثة، لكن روح الزهد سوف تأتى بك إلىّ فتصير حرًّا.

إننى ذاتى حيال كل المخلوقات، لا أحابى أحدًا ولا أغبن أحدًا، لكن الذين يعبدوننى بإخلاص يعيشون فىّ وأعيش فيهم، ولو عبدنى أخطى الخطاة بكل قلبه فسوف أعتبره صالحًا لأنه سلك طريق الصلاح، وسوف يحقق الروحانية فى زمن وجيز، وتكون السكينة السرمدية من نصيبه، يا 'آرجونا' إن المخلص لى لا يضل أبدًا.

وسوف يبلغ المقام الأسمى من يحتمى بى، أيًّا كان مولدهم أو جنسهم

أو طبقتهم أو عرقهم، ولا حاجة لذكر كهنة الرب والمؤمنين والحكام المقدسين الذين وُلِدوا فى هذا العالم البائس المتغير، فهل تعبدنى أنت أيضًا؟

ركز عقلك علىَّ، وكرِّس نفسك لى، وضحِّ من أجلى، واجعلنى غاية رجائك، وسوف تصير إلىَّ، فأنا ذاتك نفسها».

١٠

التجليات الربانية

قال 'شرى كريشنا':

«والآن أيها الأمير! أنصت إلى نصيحتى العلية، والتى أقدمها لك لأنك حبيبى.

فحتى أساتذة اللاهوت والعظام من النساك لا يعلمون أصلى، فأنا مصدرهم جميعًا، ومن يعرف أننى من لم يولد، وأننى من لا بداية له، وأننى سيد الكون، فقد خلع عنه وهمه، وأصبح خالصًا من كل خطيئة، منى ينبع الذكاء والحكمة وزوال الوهم، ومنِّى المغفرة والنسك والحق وضبط النفس والسكينة والمتعة والألم والميلاد والموت والخوف والشجاعة والرحمة والسلام والرضا والزهد والطيبة والشهرة والسقوط، وكل خصائص الوجود هذه تنبثق منى فحسب.

إن الرائين السبعة العظام[٩] أسلاف البشر والأربعة الأقدمين[١٠] ومشرعى القوانين قد ولدوا جميعًا بمشيئتى، وجاءوا منى مباشرة وكانوا أسلاف الجنس البشرى.

ومن يفهم مجدى المتجلى وقوتى المبدعة على الحقيقة سوف يحقق

٩ وهم 'ماريتشى'، و'آترى'، و'أنجيرا'، و'بولاه'، و'كراتو'، و'بولاسترا'، و'فاشيشتا'.
١٠ وهم 'ساناك'، و'ساناندان'، و'سانتان'، و'ساناتكومار'.

السلام الكامل قطعًا. إننى مصدر الجميع، وقد انبعث منى كل شيء كان، ولذلك عبدنى الحكماء بإخلاص لا يكل، وشعروا دومًا بالرضا والسعادة بتركيز عقولهم علىَّ وقضاء أعمارهم فىَّ وساعدوا بعضهم بعضًا فى الاستنارة بحكمتى، فأُسبغ حبى على العابدين المخلصين، وأمنحهم القدرة على التمييز التى تهديهم إلىَّ، وأعيش فى قلوبهم باللطف وأشتت ظلام الجهل بنور الحكمة.»

سأل 'آرجونا':

«إنك الروح الأسمى والموئل الخالد وأقدس المقدسين، أنت الذات الربانية السرمدية والرب الأولانى الذى لم يولد وأنت الحاضر أبدًا، فهذا ما قاله الراءون والحكيم الربانى 'نارادا'، كما قال ذلك أيضًا 'آسيتا' و'ديفالا' و'فايسا'، وقد قلت بنفسك هذا أيضًا، إنى مؤمن بما قلت يا مولاى، فلا يفهم تجلياتك المؤمنون ولا الكفار، فأنت فحسب من يعرف ذاتك العلية بقوة ذاتك، أنت الروح الأسمى ومصدر كل الكائنات وسيدها، فأنت سيد السادة وحاكم الكون، فأخبرنى عن تجلياتك التى تجعلك تسرى فى العالم أجمع.

سيدى ومولاى، كيف لى أن أعرفك بالتأمل الدائم؟ سيدى، ما هى تجلياتك المختلفة التى يتعين علىَّ أن أتأمل فيها؟

ثم قل لى يا سيدى أتوسل إليك عن كمال قدرتك ومجدك، فإنى أشعر أننى لن أكتفى أبدًا من الاستماع إلى كلماتك الخالدة.»

قال 'شرى كريشنا':

«ليكن ذلك يا صديقى الحبيب، سوف أحكى لك بعض أمجادى، أما

جميعها فلا نهاية لها.

أىْ 'آرجونا'! إننى الذات العلية، وعرشى فى قلوب الكائنات كافة، أنا بداية حياتهم جميعًا وأنا نهايتها، إننى خالق كل القوى المبدعة، وأنا شمس كل ما ينير، وأنا الزوبعة الدوامة بين الرياح، وأنا القمر بين الكواكب.

أنا تراتيل الفيدا، وأنا الصاعقة بين قوى الطبيعة، وأنا العقل بين الحواس، وأنا الذكاء فى كل ما يعيش، أنا الحياة فى القوى الحيوية، وأنا الوثن بين عبدة الأصنام والكفار، وأنا الطاقة فى النار والأرض والريح والسماء والشمس والقمر والكواكب، وأنا جبل 'ميرو' بين الجبال.

ولتعلم يا 'آرجونا' أننى الرسول إلى 'بريهاسباتى'، وأنا 'سكاندا' بين القواد، وأنا المحيط للمياه، وأنا 'بهريجو' بين الحكماء[١١]، وأنا 'آوم' بين الكلمات، وأنا الدعاء الصامت بين الصلوات، وبين الجبال الرواسخ أنا الهيمالايا، وبين الأشجار أنا التينة المقدسة، وبين العارفين الربانيين أنا 'نارادا'، وبين المنشدين أنا قائدهم 'تشيتراثا'، وبين الحكماء أنا 'كابيلا'.

واعلم أننى بين الخيل 'بيجاسوس' الذى ولد فى السماء، وبين الأفيال العظيمة أنا الفيل الأبيض، وبين الناس أنا الملك، إننى الصاعقة بين الأسلحة، وبقرة الخير بين الأبقار، وأنا العاطفة بين من يتناسلون، وبين الأفاعى أنا الكوبرا، وبين الثعابين أنا الملك بايثون، وأنا مبدأ

١١ أحد حكماء الأساطير الهندية القديمة.

السيولة فى المياه لما يعيش فيها، أبو الآباء أنا، وأنا الموت بين الحاكمين، وأنا المؤمن 'براهالد'[١٢] بين الوثنيين، وأنا الحاضر السرمدى فى الزمن، وأنا الأسد بين الوحوش والنسر بين الطير، إننى الريح بين قوى الطبيعة المُطهرة، والملك 'راما' بين المحاربين، والتمساح بين الأسماك، ونهر الجانج بين الأنهار.

أنا الأول والأوسط والآخر فى الخليقة، وأنا علم الروحانية بين العلوم، وأنا الجدل بين المحاورين، والألِف بين الحروف، وأداة الوصل فى الجُمَل المركبة، وأنا الزمن السرمدى، وأنا الحافظ الذى يقيت كل شىء.

إننى الموت الزؤام، وأنا أصل كل ما سيكون، وأنا الشهرة والثروة والكلام والذاكرة والعقل والثبات والغفران، وأنا 'بريهاتساما' بين الترانيم، وأنا 'الجاتارى' بين بحور الشعر، وأنا 'مارجاشيرشا' بين الشهور[١٣]، وأنا الربيع بين الفصول، وأنا مقامرة المخادع وبهاء الأنيق، وأنا النصر والجهد ونقاء الطاهرين.

إننى 'شرى كريشنا' بين قبيلة 'فيشنو'، و'آرجونا' بين 'الباندافا'، و'فايسا' بين القديسين و'شوكراشاريا' بين الحكماء، إننى صولجان الملوك، وخطة الظافرين وصمت الأسرار وحكمة الحكماء، وأنا بذرة الوجود بأكمله، يا 'آرجونا'! ليس هناك من مخلوق يثبت ولا يتحرك إلا بى.

١٢ أحد أمراء الشياطين، كرس نفسه لعبادة 'فيشنو'.

١٣ وهو شهر ديسمبر..

أيْ 'آرجونا'، إن صفاتي الربانية لا حصر لها، وقد ذكرت بعضها على سبيل التصوير، وتأكد من أن كل مجيد وكامل وجميل وقوي ينبثق من سبحات بهائي، ولكن ما نفع هذه التفاصيل لك؟ يا 'آرجونا'، إنني أقيم هذا الكون كله بجزء هين من قدرتي.»

١١

رؤية الكون

قال 'آرجونا':

«مولاى، إن حديثك عن أسرار الذات العلية الذى باركتنى به قد شتت الأوهام التى كانت تكتنفنى، أى سيدى يا من علَوتَ على كل شىء، يا من عيناه بتلتا لوتس، إننى أتوق إلى التطلع إلى بصيص من صورتك الربانية، ولو كنت ترى إمكان ذلك فأطلعنى يا سيد السادة على صورة ذاتك الخالدة.»

قال 'شرى كريشنا':

«انظر يا 'آرجونا'! إن صورى السماوية تتعدد بالمئات والآلاف، وتتنوع فى أشكال وألوان، فتأمل قوى الطبيعة فى النار والطين والهواء والسماء والشمس والقمر والنجوم، وكل قوى الحيوية والشفاء والرياح، وانظر إلى جحافل العجائب التى تنكشف لك وحدك، وانظر إلىّ هنا وأنا كواحد من الناس ترى الكون كله، ما يتحرك منه وما لا يتحرك، وما لا ترى.

إلا أنك لن ترانى بعيون الفانين، فسوف أكشف لك عن المشهد الربانى لترى عظمة مجدى.»

وقال 'سانجايا':

«وبعد أن قال الرب 'شرى كريشنا' ذلك يا مولاى، وهو أمير

الحكمة، كشف لآرجونا عن المشهد الأسمى للرب الأعظم، فبانت له عيون وأفواه لا تُحصى، وصور أسرارية لا تعد، وزخارف متألقة وأسلحة سماوية ملتهبة، تتوجها أكاليل سماوية، وتتوشح بأردية لامعة مضمَّخة بعطر رباني، وتجلى فى بهائه الفريد مدهشًا لا حدود له، حاضرًا فى كل أين.

ولو سطعت ألف شمس معًا لما كانت سوى انعكاس شاحب لنور الرب. ورأى 'آرجونا' الكون فى هذا التجلى بأشكاله المتنوعة بلا حدود، وقد انصهر فى كل واحد هو سيدها الأسمى.

وعندئذ وقف 'آرجونا' مبهوتًا مرتعدًا، وألصق كفَّيه بالتحية وخاطب الرب قائلا:

«أيها الرب القادر، لقد رأيت فيك قوى الطبيعة جمعاء، وموجودات الدنيا كافة، والأب الأول على عرش اللوتس، ورأيت الحكماء والملائكة فى نور يتألق، لقد رأيت فيك الصورة اللانهائية كما لو كانت أعينًا ووجوهًا وأطرافًا لا آخر لها ولا وسط ولا أول، أى رب الكون كلى الصورة، لقد رأيتك بالتاج والصولجان والقرص فى بهاء متألق، ولم أستطع النظر إليك إلا لمامًا، كم كنت متوهجًا كالنار المستعرة؟ متألقًا كالشمس فى أوجها، وبلا حدود.

'إنك يا مولاى الخالد أبدًا، والواحد الجدير بالعرفان، والكنز الأسمى للكون، والحافظ الدائم لحياة الخلود، والروح السرمدية، بلا أول ولا وسط ولا آخر، لانهائى أنت فى جبروتك، وأياديك تحيط بكل شىء، عيونك الشمس والقمر، ووجهك يتألق بلهيب التضحية

لينير الكون كله بالضياء.

إنك وحدك تملأ أركان السماء والأرض وما بينهما، أيها الرب القادر! إن العوالم ترتجف أمام صورتك المهيبة، إن محافل المخلوقات السماوية تدخل إليك بدعاء خاشع وأكف متضرعة، وينشد عظام الرائين والرهبان ترانيم مجدك، وتندهش من جلالك القوى الحيوية والنجوم الكبرى والنار والأرض والهواء والسماء والقمر والكواكب والملائكة وحفظة الكون وأقطاب الشفاء والرياح والآباء ومترنمو السماوات ومحافل عبدة 'مامون' الوثنيون والجن والقديسون جميعًا.

إن رؤية صورتك الهائلة أيها الجبار بأوجهها التى لا تحصى وعيونها وأفواهها الرهيبة وأطرافها التى لا تُعدُّ تبعث الرهبة فى نفسى وفى العوالم جميعًا، وحين أراك تطاول السماوات متوهجًا بالألوان بفم مفتوح وعيون ملتهبة يصيبنى الرعب، وتنطفئ شجاعتى ويهجرنى عقلى يا مولاى! وحين أرى فمك وفكيك العظيمين تتوهج لتذيب الخلق، فإنى أفقد كل شعور بالمكان ولا أجد ملاذًا، رُحماك يا مولى العوالم هونًا! إننى أرى أبناء 'دهريتاراشترا' هؤلاء وكوكبة الأمراء 'بهيشام'، و'درونا'، و'كارنا'، كما أرى المحاربين فى جانبنا جميعًا، يندفعون إلى فكيك وأنيابك الرهيبة، وتنفجر رءوسهم إلى ذرات، وفاض هؤلاء الأبطال بين فكيك كنهر معربد يُهْرَعُ إلى محيط، فيلقون بأنفسهم فى فمك حيث يتلفون، وكنتَ كمن يلتهم العوالم ويلفُّها فى اللهيب، ويملأ مجدك الكون، ويضرب فى أرجائه نورك الرهيب بلا كاشف، فقل لى يا مولاى من أنت؟ ومن ذا الذى يتخذ هذه الصور

المرعبة؟ إنى أنحنى لك أيها القوى القادر فارحمنى، ودعنى أراك كما تعودت أن أراك، ولا علم لى بما تنتوى.»
أجاب 'شرى كريشنا':
«لقد أظهرت نفسى لك فى صورة المدمر الذى يمحق العالم، ولن ينجو من الموت واحد من المحاربين الذين اجتمعوا للقتال، وهكذا عليك أن تشد من عزمك وتنتصر، واهزم عدوك وتمتع بالملك والرخاء، لقد حكمتُ عليهم سلفًا بالموت، فكن أنت أداتى يا 'آرجونا'!'.
إنى قد حكمت بموت 'درونا'، و 'بهيشام'، و'جايادراثا'، و'كارنا'، وغيرهم من المحاربين الشجعان جميعًا، فدمرهم يا 'آرجونا' وقاتل بلا خوف، فسوف ينسحق أعداؤك».
ثم قال 'سانجايا':
«وبعد أن سمع الأمير 'آرجونا' كلمات 'شرى كريشنا' هذه، ضم يديه المرتعدتين وركع وسجد مرة بعد أخرى، وقال بصوته المختنق لمولاه 'شرى كريشنا':
«سيدى! من الحق أن يبتهج العالم عندما يتغنى بمجدك، فتهرب الشياطين رعبًا، ويرتل القديسون بحمدك، وكيف لهم ألا يفعلوا؟ أيها الذات الأعلى، أعظم أنت من قوى الخلق كافة، فأنت السبب الأول اللانهائى رب الأرباب وموئل الكون، أنت الأبدى خالق الوجود واللاوجود والمتعالى عن كليهما، أنت الرب الأولانى القديم وأنت جوهرة هذا الكون العلية، أنت العارف والمعرفة والمصير النهائى، إنك تسرى فى كل شىء وصورتك لانهائية، إنك الريح والموت

والنار والماء والقمر والأب والجد، لك الشرف والمجد آلاف المرات! وأسبح باسمك دومًا يا مولاى!
لك التحيات من كل جانب، فأنت الذى تحتوينى بكاملى، وقدرتك لا حد لها، وجلالك لا يدرك، وأنت الذى يقوم بك كل شىء، فأنت نفسك كل شىء، وأيًا كان ما قلته لك فى اندفاع وأنا أظنك مجرد صديق وأناديك 'كريشنا' و 'صديق' بألفة لا تبجيل فيها ولا فهم لعظمتك، وأسألك غفران كل ما فعلتُ فى هذر أو لعب أو راحة أو حوار أو فى مأدبة، وما قلت فى سر أو علانية، يا من لا نظير له! فأنت الأب لكل ما كان ثابتًا وما تحرك! وأنت المعبود وسيد السادة! ولا نظير لك ولا من كان أسمى منك فى العوالم كافة، إننى أسجد أمامك يا مولاى وسيدى ومعبودى! وأحييك وأسألك البركة، فأنت لحسب الجدير باحتمالى كما يحتمل الأب ابنه والصديق صديقه والحبيب حبيبه.
إننى أغبط نفسى على رؤية ما لم يره أحد من قبل، وأكاد أهلك خوفًا، لكن يا مولاى أسألك أن ترجع إلى الصورة التى كنت أعرفها، وكن رحيمًا يا مولاى، فأنت موئل الكون بأسره.
إننى أشتاق إلى رؤيتك كما كنت من قبل، بالتاج والصولجان والقرص فى أياديك الأربع، يا من لا تحصى أياديه ولا تُعدُّ صوره.»
أجاب 'شرى كريشنا':
«يا صديقى الحبيب! لقد رأيتَ رؤى البهاء هذه بلطفى وقدرتى، فأنا الأصل الكلى اللامتناهى، ولم يسبق أن رآها أحد سواك، ولن يتمكن

أحد فى الأرض من رؤية ما رأيت يا بطل قبيلة 'كورو'! لا تخف ولا تحتر فى الرؤية الرهيبة، ودع مخاوفك وانظر إلىَّ بعقل راضٍ، فها أنا ذا أعود إلى الصورة التى اعتدتَ عليها.»

ثم قال 'سانجايا':

«وبعد أن قال 'شرى كريشنا' ذلك لآرجونا عاد إلى الصورة المعتادة، وهو يرتعد من الخوف، وواساه الرب المقتدر فى صوت حنون، فقال 'آرجونا':

«إن رؤيتك فى صورتك الإنسانية اللطيفة يا مولاى تعيد إلى نفسى هدوءها.»

قال 'شرى كريشنا':

«إن من الصعب احتمال الرؤية التى رأيتها، وعبثًا يكدح أقوى الأقوياء ليراها، ولا يمكن رؤيتها كما رأيتها أنت بدراسة متون ولا بزهد ولا بأضاحىَّ وعطايا، بل يمكن أن أُشهَد وأُعرَف بإخلاص لا يكل، فذلك فحسب هو ما يمكِّن المرء من التوحد بى يا 'آرجونا'! والذى يعمل كل عمل من أجلى، ومن كنت أنا غايته ومناط هجرته، ومن أحبنى ولم يكره أحدًا، هم فحسب الذين يمكن أن يعرفونى، يا ابنى الأعز!'

١٢

طريق الحب 'بهاكتى يوجا'

سأل 'آرجونا':

«مولاى! مَن أفضل المخلصين فى عبادتك؟ هل هو الذى يسعى إلى معرفتك كربٍّ متجسد، أم من يعبدك كرب منزه عن التجسيم، باقٍ أبدًا لا يُقهر؟»

أجاب 'شرى كريشنا':

«إن أفضلهم من تركز عقله فىَّ وعبدنى دومًا بإخلاص لا يكلُّ وتركيز لا يخلُّ، الذى يعبدنى جبارًا لا يُقهر وغيبًا لا يُعلَم وحضورًا لا يُثلم ولا يحيط به فكر، أو لانيًّا صمدًا باقيًا، ويكبح حواسه ويتأمل فى أحوال الحياة بلا تحيز، ويعمل لخير كل الخلائق، فإنه حتمًا سيصل إلىَّ، أما من انتبه إلى المطلق والتنزيه فقد حمل إصرًا أعظم، إذ يصعب على من يعيش بجسد أن يعرفنى وأنا بلا جسد، أى 'آرجونا'! إننى أخلصهم من محيط الحياة والموت لتعلق عقولهم بى، فدع عقلك يتعلق بى فحسب، ودع عقلك الملهم ينزع إلىَّ، ولسوف تحيا فى الحياة الأخرى فىَّ أنا فحسب، أما إذ لم تستطع أن تثبت عقلك فىَّ بحزم، فتعلم يا صديقى الحبيب كيف تستطيع بدوام المجاهدة، وإن لم تكن قويًّا بما يمكنك من رياضة التركيز، فانذر ذاتك لخدمتى، وضحِّ بكل أعمالك لى فحسب وسوف تبلغ الغاية، ولو كنت ضعيفًا حتى فى ذلك فالجأ

إلى التوحد معى، واهجر ثمار عملك بمجاهدة نفسك تمامًا، ولا تكره أى مخلوق كان، وكن عطوفًا خاليًا من الأنانية والكبرياء، راضيًا بالمتعة والألم سمحًا عَفُوًّا، دائم الرضا، مرتكزًا حول نفسك منضبطًا ثابتًا، وسخر عقلك وقلبك لى، فالمؤمن الذى أحبه ذلك الذى لا يؤذى العالم، ولا يستطيع العالم أن يؤذيه، والذى لا يطغيه فرح ولا يكدره غضب ولا يهزه خوف، فهذا مؤمن أحبه، ومن لا يأسره الأمل وكان متطهرًا وسطًا عفيفًا زاهدًا غير غافل، فهذا مؤمن أحبه، وهو يسمو فوق الفرح والكراهية لا يأسى ولا يرغب، وكان حُسْنُ الطالع وَسُوءُ الطالع عنده سواء، فهذا مؤمن أحبه.

ومن كان الصديق والعدو عنده سواء، والذى يرحب بالشرف والعار على السواء، ويقبل الحرَّ والقرَّ، والمتعة والألم، ولا يفتنه شىء، يتساوى عنده المدح والذم، ويستمتع بالسكون والصمت، ويرضى بالقدر، ولا يركن إلى مسكن، وكان ثابت العقل عميق الإيمان، فهذا مؤمن أحبه.

والحق أن من يحبون الحكمة الروحية كما علَّمتها، ومن لا يتهافت إيمانهم، ومن يوجهون كل طبيعتهم إلىَّ هم أكثر من أحب.

١٣

الروح والمادة

سأل 'آرجونا':

«مولاى، من هو الرب وما طبيعته؟ وما هى المادة؟ وما هى النفس؟ وما هى ما يسمونه الحكمة؟ إنى أتوق إلى معرفة تفسير هذه الكلمات.»

قال شرى كرشنا:

«أى 'آرجونا'، إن جسد الإنسان هو نطاق النفس، ويسمى العارف باسم 'العارف بنطاق النفس'، وأنا النفس العالمة بكل نطاق فى كل موجود، وإدراك كل ذلك هو ما يُسمى المعرفة الحق. وسوف أشرح لك باختصار ما هى المادة ومِمَ تتكون ومن أين جاءت ولِمَ تتغير، وما هى النفس وما هى قواها.

لقد تغنى الحكماء طويلًا بطرق شتى فى تراتيل الفيدا المقدسة، عميقة الفكر دامغة البرهان، فالمواد الأساسية العظمى[١٤] والشخصية والعقل الملهَم وقوة الحياة الغامضة، وأعضاء الإدراك والعمل العشرة، والعقل والحواس الخمسة، والرغبة والكراهة والسرور والألم والتراحم والحيوية وحب البقاء، هى مختصر لأحوال المادة المتغيرة. أما التواضع والإخلاص وعدم الإيذاء والصفح والاستقامة وخدمة الرب والنقاء والمثابرة وضبط النفس والزهد فى متع الحواس وعدم

١٤ هى التراب والنار والهواء والماء والأثير..

التكبر، وسلامة فهم معضلة الحياة والموت والشيخوخة والمرض، والزهد فى شهوة الجماع والتناسل والبيت، والسكينة عند حسن الطالع وسوء الطالع كليهما، وإخلاص لى لا يفتر بالتركيز علىَّ وحدى، وحب العزلة واجتناب الحياة الاجتماعية، والتشوف الدائم إلى معرفة الذات العلية، والتأمل فى آيات الحق الأعظم، تلك هى الحكمة وما عداها جهل.

وسأقول لك الآن عن الحق الأعظم الذى يجدر بالإنسان أن يعلمه، حيث إنه من سيعمل على الفوز بالرضوان الخالد الذى لا بداية له، والروح الخالدة التى تقوم فىَّ، والتى لا صورة لها ولكنها ليست بلا صورة، أياديها وأقدامها فى كل أين، ولها عيون ترى فى كل مكان، ورءوس تفكر وأفواه تحدث وآذان تسمع، وتسكن فى العالم أجمع وتحيط بكل شىء، فوق إدراك الحواس، لكنها تتألق فى سريانها بكل جوارح الإدراك، ولا يربطها شىء إلا أنها المقيتة لكل شىء، ولا تغيرها الصفات ولكنها تحلى بهم جميعًا. فى كل الكائنات هى ولكنها خارجها كذلك، ساكنة ومتحركة، أدق من أن تدرك، وتتنائى ولكنها دومًا قريبة، تقيم كل شىء فى الخلق والنشور على السواء، هى نور الأنوار فيما وراء الظلمة، وهى الحكمة الفريدة التى تستحق العرفان أو يمكن للحكمة أن تُعلِّمها، وهى الحضور الربانى فى القلوب كافة.

لقد قلت لك باختصار عن ماهية المادة والذات العلية، وهى الأمر الوحيد الجدير بالمعرفة، وقلت لك عن الحكمة، ومن كان مخلصًا لى فإنه يعلم، وسوف يعود إلى بالتأكيد. واعلم أن الرب والطبيعة ليس لهما

أول، وأن الاختلافات الشخصية والكيفية تتأصل فى الطبيعة فحسب. والطبيعة هى القانون الذى تمخض عنه الأسباب والنتائج، والرب هو منبع كل مسرة ومتعة وألم. إن الرب الذى يسكن فى قلب الطبيعة يختبر الصفات التى تجود بها، وتماهى تلك الصفات معه هو ما يجعله يحيا فى جسدٍ خيِّرٍ أو شرير. ففى جسد الإنسان يسكن الرب الأسمى الذى يرى ويمنح ويمنع، وهو الرب الأسمى والذات الأعلى. ومن يفهم الرب والطبيعة والصفات لن يعود إلى الأرض مرة أخرى أيًّا كانت أحواله فى الحياة.

وهناك من يدرك الأسمى بالتأمل فى الذات العلية الباطنة، وهناك من يدركه بالعقل، وهناك من يدركه بالعمل الصالح. كما أن هناك من لا يحتكم على معرفة مباشرة به، ولكنه يسمع عنه من آخرين، إلا أنهم يعبدونه، هؤلاء أيضًا يعبرون نهر الموت لو كانوا مخلصين للتعاليم.

وأينما كانت الحياة تُشهد فيما كان ثابتًا وما تحرك، فهى ناتجة عن المادة والروح معًا. ومن يستطع أن يرى الرب الأسمى فى كل الكائنات، ويرى الخالد فى الفانى، فهو يرى الحقيقة. ومن ير الرب فى كل شىء كان، فلن تُفسِد أعماله حياته الروحية، بل ترفعه إلى الرضوان. ومن يفهم أن قانون الطبيعة فحسب هو ما ينتج ثمار الأعمال، وأن الذات العلية لا تعمل عملًا على الإطلاق، فقد عرف الحق. ومن ير جذور أشكال الحياة المتنوعة كافة وقد تجذرت فى الواحد وانبثقت عنه، فسوف يجد المطلق حقًّا.

إن الروح الأسمى أيها الأمير خالدة لا بداية لها ولا صفات، ورغم

أنها فى الجسد إلا أنها لا تعمل ولا تتأثر بالأعمال. وتظل كالفضاء الحاضر فى كل أين لا يتأثر بما يحتويه، فكذلك الذات حاضرة فى كل الصور ولا يشوب نقاءها شائبة. ويشع نورها على الكون بأكمله مثلما تشع الشمس على الأرض بأكملها. ومن استطاع أن يرى بعين الحكمة الفارق بين المادة والروح وعرف كيف يحرر ذاته من قانون الطبيعة، فسوف يصل إلى الأسمى.»

١٤

الصفات الثلاث

ثم قال 'شرى كريشنا':

«وسوف أكشف لك الآن عن الحكمة التى فيما وراء المعرفة، والتى يصل بها الحكيم إلى مرتبة الكمال. إن الحياة فى الحكمة ومعرفة ربوبيتى لن تجعل المرء يولد مرة أخرى حينما ينشأ الكون من جديد فى بداية دورة جديدة، ولن يتأثر حين يفنى. إن الكون الخالد هو رَحِمى الذى أزرع فيه البذرة، والتى سوف يولد منها كل شىء أيها الأمير!

يا ابن 'كونتى' النابه الذكر! أيما كانت الأرحام التى يولد منها الناس فالروح ذاتها هى ما يحبل وأنا الأب. إن النقاء والانفعال والجهل هى الصفات الثلاث التى تنتجها الطبيعة، وهى قيود على الروح الحرة فى كل المخلوقات.

أى أيها البرىء من الخطايا! إن النقاء فحسب هو المضىء القوى الذى لا يُقهَر، ويقيد المرء بالشوق إلى السعادة والضياء. أما الانفعال الذى ينتج عن التعطش إلى المسرات والعلائق فيقيد النفس بجعلها مغرمة بالتأثر. أما الجهل فينتج عن الظلام الذى يُذهل الحواس فى كل الخلائق المتجسدة، ويربطهم بسلاسل البلاهة والكسل والمرض، وهو ما يشوش على الحكمة ويقود إلى الفشل.

أيها الأمير! يتجلى النقاء حينما ينهزم الانفعال والجهل، ويتجلى الانفعال

حينما ينهزم النقاء والجهل، ويتجلى الجهل حينما ينهزم النقاء والانفعال. وحينما يشع نور الحكمة من كل أبواب الجسد، فتأكد أن النقاء سوف يسود. وحينما يسيطر الجشع والاندفاع إلى العمل على بداية العمل ذاتها يسود الانفعال ويفشو الظلام والتخثر والخطل والفتنة نتيجة سيادة الجهل يا بهجة قبيلة كورو! وحين يسيطر النقاء تعرج الروح إلى موائل الصفاء حيث العارفون بالأسمى. وحين يسيطر الانفعال تولد النفس بين من يحبون الأعمال، وحين يسيطر الجهل فإنها تدلف إلى أرحام الجهلاء. ويقولون إن ثمار الأعمال الصالحة نقية لا يشوبها شائبة، وثمار الانفعال البؤس، وثمار الجهل الظلام.

وحينما ينمو النقاء يتطور المرء، وحينما ينمو الانفعال لن يتطور ولن يتخلف، وحينما ينمو الجهل يضيع الإنسان. وعندما يدرك المرء أن الصفات هى التى تعمل ولا شىء غيرها، وعندما يفهم مَنْ وراء كل شىء، فسوف تتلبسه طبيعتى الربانية. وحين تتعالى النفس على الصفات التى هى السبب الحقيقى للوجود المادى، فسوف ترتوى من رحيق الخلود بعد أن تحررت من دورة الموت والميلاد.»

سأل 'آرجونا':

«مولاى! ما العلامات التى تميز من تعالى على الصفات؟ وكيف يعمل؟ وكيف يعيش فيما وراءها؟»

أجاب 'شرى كريشنا':

«أيها الأمير! إنه من تخلص من صفاته الموجودة ولم يتطلع إلى التحلى بصفات غائبة، ومن لا يبالى بالصفات ولا ينزعج منها هو من عرف

أنها ما يَعملُ، وظل فى سكينة، ومن يقبل بالألم والمتعة كيفما اتفق فهو متركز حول ذاته، ويستوى عنده الطين والحجر والذهب، والذى لا يكره ولا يحب، ومن استقام لا مباليًا بمدح ولا قدح، ومن نظر إلى الشرف والعار بالتساوى، وأحب الأصدقاء والأعداء على حد سواء، وهجر كل سعى دنيوى، وهذا سمت من تعالى على الصفات، ومن كان فى خدمتى أنا فحسب بإخلاص لا يفتر، سوف يهزم الصفات ويتوحد مع السرمدى الدائم، فأنا موئل الروح، ونبع الخلود والصلاح السرمدى والفرح اللانهائى».

١٥

الرب الأسمى

وقال 'شرى كريشنا':

«إن هذه الخليقة المتجلية فانية باقية معًا، هى كالشجرة التى بِذرتها فى أعلاها وما تفرع عنها على الأرض فى أدناها، والمتون المقدسة أوراقها، ومن يعرف ذلك سوف يفهم أن فروعها تمتد ارتفاعًا وهبوطًا، وغذاؤها الصفات، وبراعمها مثيرات الحس، وتطيع جذورها القوانين التى تحكم ازدهار المرء وفساده، وتخترق أعماق الأرض، ولا يمكن أن تُعرف صورتها الحقيقية ولا أصلها ولا غايتها ولا قوتها إلا بعد أن تُجتث جذورها بفأس اللاتعلق، وفيما وراءها الطريق الذى إن وجد فلا عودة منه، وهو طريق الرب الأولانى الذى انبثق منه هذا الخلق القديم.

ويبلغ الحكماء الخلود حينما يتحررون من الكِبر والوهم، وينتصرون على حب الأشياء التى تطلبها الحواس، وحين يزهدون رغباتهم ويقصرون بصرهم على الذات العلية، يكونون قد بلغوا نهاية التخبط بين أحاسيس شتى مثل المتعة والألم، هنالك لا تسطع شمس ولا يطلع قمر ولا تتوهج نار ومن يصل هناك لن يعود، فهى يا 'آرجونا' موئلى السماوى. إن حياة الكون ما هى إلا جزء صغير من ذاتى الخالدة، وتجتذب الحواس الست والعقل، والتى تأصلت فى الطبيعة لتدور

حولها، تجلى فى جسد ثم تخرج منه، فتظهر الحواس تمامًا مثلما يجمع النسيم العطور وهو يهفُّ على الزهور، فهو السمع الذى تسمع به الأذن والبصر الذى تبصر به العين، هو مركز اللمس والذوق والشم وعقل العقل، وهو المتعة فيما تدركه الحواس.

والجاهل لا يدرك أنه الحاضر أبدًا فى الحياة، وهو الذى يرحل فى ساعة الموت، ولا حتى أنه هو من يستمتع بالبهجة التى تكمن فى الصفات، ولا يبصر ذلك إلا عين عرفت الحكمة.

ويجده القديسون فى أنفسهم بجهد فائق، ولا يجده الأغبياء الذين يعجزون عن التحكم فى عقولهم، فتذكر أن النور الذى يشع من الشمس والقمر والنار ينير العالم كله، وهو ما ولد منى، فأنا أدلف إلى هذا العالم كى أحيي مخلوقاتى بالحياة المنبعثة منى، وأغذى النبات بضوء القمر البارد، وحين أكون شعلة الحياة، فإننى أسرى فى أجسادها لأتوحد مع الشهيق والزفير، وأهضم أنواع الطعام كافة، إننى الملك المتوج فى كل القلوب، فجذور الذاكرة والحكمة والتمييز جميعها منى، وأنا الذى أستحق المعرفة فى المتون المقدسة، وأُلهم حكمتها وأُعلم حقيقتها.

إن للطبيعة جانبين هما الفانى والخالد، والحياة بما فيها هى عالم الفناء، وما لا يتغير هو عالم الخلود، لكنى أسمو عن كليهما، فأنا الرب الأسمى والذات المطلقة والإله الخالد الذى يسرى فى العوالم جميعًا ويقيمها، حتى إننى فيما وراء الخلود والفناء، وأنا من تسميه المتون المقدسة الرب الأسمى، ومن يرنى ببصر ثاقب فسوف يعلم أننى الرب الأسمى،

فقد عرف كل ما يستحق أن يُعرَف، وسوف يعبدني دومًا من كل قلبه.

يا من كان بريئًا من الخطيئة! لقد كشفت لك عن رأس المعرفة الأسرارية، ومن يفهمها يؤتى الحكمة جميعًا ويصل إلى غاية الحياة.»

١٦

طريقان

قال 'شرى كريشنا':

«إن الجرأة والحياة الطاهرة ودوام التركيز على الحكمة والاستعداد للعطاء وروح التضحية والانتظام فى دراسة المتون المقدسة والزهد والنخوة، وعدم الإيذاء والصدق وعدم الغضب والعفاف والرضا والاستقامة والتراحم مع الجميع وعدم الطمع ودماثة الخلق والتواضع والثبات، والإقدام والمغفرة والسماحة والطهر والخلو من الكراهية والكبر، كل هذه سمات من له فضائل ربانية يا 'آرجونا'.

أما النفاق والكبر والوقاحة والقسوة والجهل فهى سمات من ولد من رذائل لاربانية، والفضائل الربانية تهدى إلى التحرر، وتسوق الرذائل اللاربانية إلى القيود، فلا تنزعج أيها الأمير! فإنك تتحلى بفضائل ربانية.

إن كل الكائنات على صنفين: ربانى، ولاربانى، وقد وصفت لك الربانى، وسوف أصف لك الآخر.

إن اللاربانى لا يعلم كيف يعمل ولا يعرف كيف يزهد فى العمل، وليس طاهرًا ولا أمينًا، ولا يفهم المبادئ الصحيحة للسلوك، ويقول إن الكون قد نشأ بالصدفة بلا غاية ولا رب، وإن شهوة الجماع فحسب هى التى خلقت الحياة، ويأتى إلى الدنيا من يفكر هكذا من النفوس

المنحطة أعداء جنس الإنسان كى يحطم، ويعمل أعماله لأغراضه الدنسة فحسب، ويستسلم لشهوته التى لا تشبع، منافق مكتفٍ بذاته مغرور، يتعلق بمفاهيم زائفة أساسها الوهم، سعيًا إلى غاياته الدنسة، ويخر بجَلَد عن مبادرات شريرة تُفضى إلى الموت، ولا يسعى إلا إلى إرضاء شهواته كغاية قصوى، ولا يرى شيئًا فيما وراءها، يتخطفه عناء مائة أمل زائف، ويصير عبدًا للشهوة والغضب، يراكم كنوزًا من ثروة مغتصبة لمجرد ضمها إلى شهواته الحسية، ويقول: «أشبعت اليوم هذه الرغبة ولسوف أشبع غيرها غدًا، وهذه الثروة ملكى الآن، وسأمتلك الباقى بعد حين، وقد قتلت عدوًّا وسوف أقتل الآخرين قريبًا، فأنا جدير بالمتعة، إننى كامل وقوى وسعيد كَربٍّ قادر، وغنى وحسن التربية، فمن يشبهنى؟ وسوف أقدم الأضاحى، وسوف أعطى، وسوف أنفق وسوف أتمتع»، وهكذا يعميه الجهل، ويحير بين أفكار لا تتفق، ويعلق فى شباك الشهوة، مفتتنًا بالانحراف، غارقًا فى أهوال الجحيم، وهو مغرور معاند غنى متكبر وقح، ويستعرض إحسانه إلى الغير، ويتجاهل أصول الحشمة، وينتفخ بالقوة والخديعة، ويتأرجح بين الشهوة والغضب، وهو شرير يكرهنى وأنا فى باطنه شأنه شأن الجميع، ولا يكرهنى هكذا إلا شرار الخلق، قساة القلوب غلاظ الأكباد، فأحكم عليه بميلاد دنس بائس، وسوف يمضى حياة بعد حياة فى تلافيف متاهة الوهم، ولن يصل إلىَّ أبدًا أيها الأمير! ولكنه يخط فى صور أدنى من الحياة.

إن للجحيم ثلاثة أبواب هى الشهوة والغضب والحقد، وهى تدمر

النفس فاجتنبها، وهى أبواب تؤدى إلى الظلمة، ولو تجنبها المرء فسوف يضمن نجاته فى الآخرة، وسوف يتحرر فى النهاية، ولكن من يهمل أوامر المتون المقدسة ونواهيها ويتبع وساوس شهواته، فلن يبلغ الكمال ولا السعادة ولا المصير النهائى، وعليك كلما أتاك الشك فى أن تعمل أو لا تعمل شيئا بعينه أن تهتدى بالمتون فى سلوكك، فتجعل من نورها عمل حياتك كلها.»

١٧

ثالوث الإيمان

سأل 'آرجونا':

«مولاى! ماذا عن الذين يضحون دون اتباع المتون ولكن بإيمان ضمنى؟ أهو موقف نقىٌّ أم منفعلٌ أم جاهل؟»

أجاب 'شرى كريشنا':

«إن فى الإنسان إيمانًا كامنًا بواحد من صفات النقاء والانفعال والجهل، فأنصت.

إن إيمان كل امرئ مرهون بطبيعته، وهو بطبيعته ممتلئ إيمانًا، والحق أن إيمانه هو ما يصنعه، فالنقى يعبد الرب الحق، والمنفعل يعبد قوى الثروة والسحر، والجاهل يعبد أرواح الموتى والمراتب الأدنى من ذلك فى الطبيعة، ومن تنسك دون أمر المتون المقدسة فهو عبدٌ للنفاق والأنانية، تطيح به الشهوة والغضب، وهو جاهل يعذب أعضاء جسده، ويكدر صفو باطنه، فتأكد أنه منذور للشر.

كما أن الطعام الذى يستمتع به الناس ثلاثة أيضًا، شأنه شأن طرق التضحية والتنسك والصدقة، فاستمع إلى الفوارق، إن الطعام الذى يطيل العمر ويضفى النقاء ويمنح النشاط والصحة والبهجة والسعادة هو ما لذ وطاب أكله وكثر غذاؤه وسهل سوغه، وهذا ما يحبه النقى من الناس.

أما من يسود فيه الانفعال، فسوف يحب الطعام المر واللاذع والمالح والساخن وشديد الرائحة والجاف والحريف، وهذه تسبب التعاسة والندم والمرض.

وأما الجاهل فيحب الطعام البائت الذى لا غذاء فيه والفاسد والعفن وفضلات الغير والقذارة.

والتضحية لا تتطهر إلا عندما يقدمها من لا يسرق ثمارها، وعندما تجرى حسب تعاليم المتون، وبإيمان كامن بأن التضحية واجبة، أما التضحية التى تجرى من أجل ثمارها، أو بدافع تمجيد الذات فهى نتاج الانفعال يا زينة الآريين! والتضحية التى تتعارض مع تعاليم المتون دون صلاة ولا صدقة من مال أو مأكل، ولا يدفع إليها إيمان، هى نتاج الجهل.

إن عبادة الرب والسيد واحترام الواعظ والفيلسوف، وحب الطهارة والاستقامة والعفة وعدم الإيذاء، كلها جميعًا من مجاهدات البدن، والكلام الذى لا يؤذى أحدًا ولا يحيد عن الحقيقة ويبعث على السرور وينفع سامعه، ودراسة المتون المقدسة دومًا كلها من مجاهدات اللسان، أما السكينة والعطف والصمت وضبط النفس والنقاء فكلها من مجاهدات العقل.

وحين تؤتى هذه الأنواع الثلاثة من المجاهدات بإيمان وبلا تفكر فى ثمارها، فإنها تكون نقاء لا يُوصف. والمجاهدة التى ترتبط بالنفاق أو تُؤتى لأجل تمجيد الذات أو الشعبية أو الغرور، تكون نتاج الانفعال، ويتمخض عنها نتائج مشبوهة قصيرة الدوام، أما المجاهدة التى تؤتى

بوهم الشُكر مع السحر وتعذيب النفس أو الغير، فيمكن أن نعزوها إلى الجهل.

والعطاء الذى يوهب دون تفكير فى العوض وباعتقاد ضرورته، وفى المكان الصحيح والزمن المناسب والشخص المستحق، فهذا عطاء نقى، أما العطاء الذى يُؤتى من أجل ثوابه أو انتظارًا لتعويض مقابل أو شابه امتعاضٌ، فذلك ناتج عن الانفعال، كذلك العطاء الذى يتم فى مكان خطإ أو زمن غير مناسب أو يوهب لمن لا يستحق أو يُمَنُّ به، يكون نتاج الجهل.

إن «آوم تات سات»[١٥] هى التسمية الثلاثية للروح الخالد، والمذكورة فى المتون الفيدية والشعائر والقرابين، ولذلك كانت كل القرابين والعطايا والمجاهدات التى نصت عليها التعاليم تبدأ بهذا الثلاثى عند من يفهمون أن كلمة 'آوم' تعنى الروح، والذين يسعون إلى الخلاص يبدءون أعمالهم بالتضحية والمجاهدة والعطاء بكلمة 'تات'، أى 'ذلك'، دون تفكر فى الجزاء، وتعنى 'سات' الحق والخير الأسمى، وتعنى كذلك العمل لثواب ربانى، كما أن الاعتقاد فى التضحية والمجاهدة والعطاء يمكن أن يُسمى 'سات'، فيكون بذلك عملًا لأجل الرب.

وسواء أكان ما يتم من عمل بلا إيمان من قبيل التضحية أم المجاهدة أم العطاء أم أى أمر آخر، فإنه يسمى 'آسات'[١٦]، فهو عكس سات،

١٥ أى 'ذلك الوجود هو المتعالى'..

١٦ أى 'اللاحقيق'..

أى 'آرجونا'! إن هذه الأعمال لا معنى لها فى الدنيا ولا فى الآخرة.»

١٨

روح الزهد

سأل 'آرجونا'،

«أيها الواحد القوى، بودى لو عرفت الفارق بين الزهد والتخلى.»

قال 'شرى كريشنا':

«يقول الحكماء إن الزهد هو الامتناع عن عمل تطلبه الرغبة، والتخلى هو نبذ ثمار العمل، ويقول بعض الفلاسفة إن كل الأعمال شر ولا بد أن تُهجر، ويقول آخرون إن أعمال التضحية والمجاهدة والصدقة لا بد ألا تُهجر، واستمع يا زينة الهنود إلى حكمى فى هذه المسألة. إن لها ثلاثة جوانب، فأعمال التضحية والمجاهدة والصدقة يجب ألا تُهجر إذ إنها تطهر الروح التى تتوق للخلاص، ولكنها لا بد أن تتم دون التعلق بنتائجها ودون تفكر فى ثوابها، وهذا هو حكمى النهائى، كما أنه ليس من الصواب أن تتخلى عن الأعمال الإجبارية، وإن كان قد أُسيء فهمها فذلك بسبب الجهل، واجتناب عمل قد يكون مؤلمًا بدافع الخوف من معاناة الجسد يعنى العمل بانفعال، ولن يكون للزهد ثواب، ومن يعمل عملًا جبريًا لأنه يعتقد أنه واجب الأداء، ودون أية رغبة شخصية فى عمله أو فى تحصيل عائده، فهذه تضحية نقية، والحكيم الذى بلغ النقاء وذابت شكوكه وامتلأ بروح إنكار الذات، لن يستنكف عملًا لأنه يُتعبه، ولن يرغب فى عمل لأنه يسره، ولكن

حيث إنه لا زال فى جسده، فلن يستطيع تجنب العمل تمامًا، ولذلك كان ترك ثمار العمل زهدًا تامًّا، أما الذى لا يستطيع ترك رغباته كافة، فإن ثمار العمل على ثلاثة أوجه، وجه الخير ووجه الشر ووجه ملتبس بين الخير والشر، أما من زهد فى رغباته فليس لعمله ثمار.

وسأقول لك الآن أيها القوى! إن هناك عللاً خمسة لا بد أن تتفق قبل القيام بالعمل حسب منظور الفلاسفة النهائى، ألا وهى الجسد والشخصية وأعضاء البدن والأعمال والمصير، وأيًّا كان العمل الذى يقوم به المرء سواء أكان بدنيًّا أم قوليًّا أم فكريًّا، وسواء أكان صوابًا أم خطأ، فهذه العلل الخمسة جوهرية، لكن المغفل الذى يفترض أن ذاته فحسب هى التى تقوم بالعمل نظرًا لعدم نضج حكمه، فإنه يروغ من الحق ولا يراه على الوجه الصحيح، ومن تخلص من كبره ولم يتلوث عقله المُلهَم بالتعلق لن تقيده أعماله ولو أراد بكل الناس شرًّا لن يأتيه.

إن المعرفة والعارف والمعروف ثلاثة دوافع للفعل، والفعل والفاعل والأداة ثلاثة مكونات للعمل، وتختلف المعرفة والفعل والفاعل بموجب الصفات، ثم انصت أيضًا لما يلى:

إن المعرفة التى ترى فى الخلائق وحدانية كامنة لا تتجزأ ولا تنفصم لهى المعرفة النقية الخالصة.

أما المعرفة التى تعتبر أن أوجه الوجود المتعددة فى كل الخلائق منفصلة عن بعضها البعض، فتلك معرفة نبعت من الانفعال.

أما إذ تعلقت المعرفة بعلة واحدة كما لو كانت هى كل شىء، وبلا

منطق ولا صدق ولا عقل، فهى معرفة أساسها الظلمة.

والعمل الذى يُؤتَى دون حب أو بُغض، ودون انتظار ثمار، فذلك هو العمل النقى. أما العمل الذى يستلزم أقصى كَبَد، ويبتغى به إرضاء الرغبات، وقد طفح بالكبر، يكون عملًا نابعًا من الانفعال. أما العمل الذى يجرى بتأثير الوهم، وبلا مراعاة للمسائل الروحية التى تتعلق به، ودون النظر إلى الأذى الذى يتمخض عنه، فهذا العمل يكون عندئذ من ثمار الجهل والظلمة. ولكن حين لا يشوب المرء انفعال ولا كبرياء، وحين يحتكم على الشجاعة واليقين والتواضع، ولا يهمه النجاح ولا الفشل، فإن عمله يكون خالصًا نقيًا. ومن كان مندفعًا طامعًا يسعى إلى المكافأة، عنيفًا دنسًا ممزقًا بين الفرح والحزن، فهذا يغلب عليه الانفعال. ومن كانت غايته أن يصيب الناس بالعاهات، وكان دنىء العقل عنيدا خِبًا حاقدًا مستهترًا، فهذا نتاج الجهل والظلمة.

والعقل وسلامة اليقين على ثلاثة أوجه بموجب الصفة التى تسود، وسوف أفصِّلهم لك جميعًا يا 'آرجونا'!

إن العقل الذى يفقه خلق الحياة ودمارها، ويعلم أى الأعمال أجدر بالفعل أو الترك، ويميز بين الخوف والإقدام، وبين القيود والخلاص، فذلك عقل نقى، والعقل الذى لا يفقه الصواب والخطأ، ولا يعلم ماذا يفعل ولا ماذا لا يفعل، فهو ضحية الانفعال، وأما الذى يحبسه الجهل فيرى الخطأ صوابًا، ويرى كل شىء مقلوبًا، فهذا عقل يحكمه الظلام، وأما سلامة اليقين ودوام التركيز الذى يحكم العقل والحيوية والحواس، فهما نتاج النقاء يا 'آرجونا'!، وأما اليقين الذى

يتمسك دومًا بالشعائر والمصالح الشخصية والثروة من أجل ما يمكن أن تثمر، فذلك يأتى من الانفعال، وأما الذى يتعلق بمثالية زائفة أو خوف أو حزن أو غرور، فذلك من الجهل والظلمة.

ثم استمع إلى ثلاثة أصناف من المتعة، فهناك تلك التى تربو يومًا عن يوم حتى تخلص المرء من الشقاء، وهى تبدو أول الأمر كالسم، ولكنها تئول إلى رحيق، وهذه المتعة نقية تلدها الحكمة. وأما المتعة التى تبدو فى أول أمرها كالرحيق لأن الحواس تنتشى بالموجودات، ثم تئول إلى سم، فهى متعة تنبثق عن الانفعال. والمتعة التى تخدر الحواس فى أولها وآخرها، تنتج عن الكسل والمرض والغفلة، وتنبع من الجهل، وليس من شىء على الأرض ولا فى العوالم العلوية يخلو من هذه الصفات الثلاث، ذلك أنها ولدت من الطبيعة.

أى 'آرجونا'! إن واجب المرشد الروحى والجندى والتاجر والخادم قد تحدد بناءً على الصفات السائدة فى طبائعهم، فالسكينة وضبط النفس والزهد والنقاء والتسامح والاستقامة والمعرفة والحكمة والإيمان بالرب هى واجب المرشد الروحى، والشجاعة والمجد والصلابة والمهارة والكرم والثبات فى المعارك والقدرة على القيادة هى واجب الجندى وتنبع من طبيعته، والزراعة وحماية الأبقار هى واجب التاجر الذى ينبع من طبيعته كذلك، وواجب الخادم أن يخدم، ويتفق ذلك مع طبيعته أيضًا، وحين يعكف كل منهم على أداء واجبه مخلصًا يصلون معًا إلى الكمال، فأنصت وسأقول لك كيف يصل إلى الكمال من يخلص دومًا فى الاهتمام بواجبه.

إن الإنسان يصل إلى الكمال بتكريس كل أعماله للرب، فهو مصدر كل الكائنات ويسرى فى كل شىء، فمن الأفضل أن يعمل المرء ما وجب عليه عمله مهما كان أداؤه معيبًا، من أن يعمل عمل غيره مهما كان أداؤه حسنًا، ومن يقم بواجبه بما تمليه طبيعته فلن يرتكب خطيئة أبدًا، والعمل الذى يُكَلَّفُ به المرء هو نصيبه، ويجب ألا يتركه حتى لو كان له عيوبه، فكل عمل يشوبه عيب كما يشوب الدخان اللهب.

ومن كان عقله متحررًا تمامًا وانتصر على نفسه وتلاشت رغباته، فسوف يصل بزهده أعلى درجات الكمال، حيث يُكمل العمل ذاتَهُ ولا يترك بذرة أعمال عشوائية.

وسأقول لك الآن باختصار: إن الذى بلغ الكمال يجد الروح الخالدة، ويحيا حال الحكمة العلية، يرشده عقل نقى، وكبح نفسه بإقدام، وزهد أشياء الحواس، وتخلى عن الحب والكراهية، وتمتع بالعزلة واقتصاد الكلام والطعام، وكبح عقله وقوله، واستغرق فى التأمل، فسوف يتحرر، ويمتلئ أبدًا بروح الزهد، وحين يهجر الأنانية والقوة والغرور والغضب والرغبة والأملاك، فإنه قد وصل إلى السلام، وتأهل لالتحاقه بالروح الخالدة، وحين يتوحد مع الخالد أبدًا، وتذوق نفسه نعيم القرب من الذات العلية، لن يشعر برغبة ولا ندم، ويرى كل الخلائق على حد سواء، ويستمتع ببركات الإخلاص الفائق لى، وهو إخلاص يجعله يرانى ويعرف من أنا وما أنا، ويصل إلى الحق، ويدخل ملكوتى، ويعتمد علىَّ فى كل أعماله، ويعملها من أجلى، ويصل بلطفى إلى الحياة الخالدة التى لا تحول، فاجعل أعمالك

لى، وعش فِىَّ، وركز عقل قلبك علىَّ، وتفكر فىَّ على الدوام، ولو ثبَتَّ عقلك فىَّ دومًا، فسوف تغلب الصعب فى طريقك بلطفى، ولكن لو ساقك الغرور فلن تسمع، وحينئذ تضيع، ولو كنت بغرورك تريد تجنب القتال فلن تحقق، وسوف تجبرك الطبيعة ذاتها.

أى 'آرجونا'! إن واجبك يُلزمُك، فقد نبع من طبيعتك ذاتها، وتوهمت أنك لا تريد أن تنجز الأمر الذى وجب عليك، إنك عاجز، فالرب يحيا فى قلوب الجميع، أى 'آرجونا'! إنه يجعلهم يدورون كما لو كانوا على عجلة تدور بقدرة سرِّه هو، ففرَّ إليه بكل قوتك وسلم له، وبعونه سوف تصل إلى السلام الأسمى وتبلغ دار البقاء.

لقد كشفت لك حقيقة سر الأسرار، ولو كنت قد تدبرتها فافعل ما شئت، ولكن استمع مرة أخرى إلى كلمتى الأخيرة، وهى أعمق سر فى الأسرار جميعًا، إنك حبيبى وصديقى، وأحدثك من أجل خلاصك، كرِّس نفسك لى واعبدنى وضحِّ من أجلى واسجد أمامى وسوف تئول إلىَّ يقينًا، وأعاهدك بذلك حقًّا، فلا تقلق، وسوف أعفو عن كل خطاياك، ولا تحدِّث فى ذلك من لم يزهد ولا من لا يحبنى ولا من لا يريد أن يسمع ولا من يتهكم، بل حدِّث من يُعلِّم هذا السر للمؤمن بى، فإخلاصه أسمى الإخلاص، وسوف يرجع إلىَّ حقًّا.

وليس بين الناس من يخدمنى بخدمة أحبها أكثر من ذلك، وليس بينهم من أحبه أكثر منه، ومن يدرس هذا الحوار الروحى بيننا يقينًا سوف يعبدنى على مذبح الحكمة، بلى، وسوف يُستمع إليه بإيمان لا يشوبه شك، وسوف يتحرر هو أيضًا من الشر، وسيُبعث فى عوالم الفضلاء

بالأعمال الصالحة.

أى 'آرجونا'! هل سمعت كلماتى بانتباه؟ وهل ذهب جهلك ووهمك؟»

أجاب 'آرجونا':

«مولاى الواحد المعصوم! لقد زال وهمى، وقد شع النور بلطفك الصمدى، لقد انتهت شكوكى، وأقف أمامك مستعدًّا لإنجاز مشيئتك.»

قال 'سانجايا':

«وهكذا يا مولاى سمعت هذا الحوار النادر المدهش الذى يحرك الروح بين 'شرى كريشنا' و'آرجونا' عظيم النفس. وقد تمكنت من سماع هذا السر من فم سيد القول 'شرى كريشنا' ببركة الحكيم 'فايسا'. يا مولاى! إننى كلما تفكرت فى هذا العلم الأسرارى الشريف، كلما طرت فرحًا، وكلما استدعت الذاكرة مرة بعد أخرى جمال سيد الخليقة، ملأتنى الدهشة والسعادة، أين مولاى 'شرى كريشنا' أمير الحكمة، وأين 'آرجونا' الرامى العظيم، إننى مؤمن بأن حسن الطالع والنصر والسعادة والصلاح كانوا من نصيبه».